المسجد جامع وجامعة (1)

مولود قاسم نايت بلقاسم
الوزير لدى رئاسة الجمهورية
المكلف بالشؤون الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على خاتم النبيئين والمرسلين ،



اخواننا ، يسرنا بهذه المناسبة ، مناسبة المولد النبوى الشريف ، فى هذا اللقاء فى مدينة وهران ، ان نجتمع بكم ونذكركم ببعض المبادىء التى كررناها وأعدناها فى منشورات ، وفى مجلة الأصالة ، وفى اجتماعات ، بالنسبة لمن حضر منكم فى مدرسة مفتاح بمناسبة تدشينها ، حول أهمية المسجد ، حول دور المسجد ، وبالتالى حول أهمية الامام ، ومساعديه ، من مؤذن ، وقيم ، فى الامة .

أظن أنه من البديهيات أن نكرر ، ولكن لا بأس بتكرار بعض البديهيات عندما لا تكون منغرسة فى الاذهان ، عندما لا تدرك من الكل مع الاسف ، كررنا لكم مرارا ، ولكن لا نزال نلاحظ تقصيرا ، وهذا ليس موجها لائمة ولاية وهران فقط ، ولكن

---

(1) كلمة ارتجلها السيد مولود قاسم نايت بلقاسم ، وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، فى المركز الثقافى الاسلامى بوهران فى الائمة ليلة ذكرى المولد النبوى الشريف (11 ربيع الثانى 1397 هـ ـ 01 مارس 1977 م) .

لمجموع الائمة على مستوى الوطن · كررنا مرارا أن دور المسجد يتمثل فى القيام بعدة مهام ، بعدة مسؤوليات ، وليست ، كما يظن الكثير منكم ومن غيركم فى أنحاء الوطن ، اكتفاء بالقيام بالصلوات الخمس ، وربما بصلاة الجمعة فقط ، ثم الذهاب الى الولائم ، ثم الى البيت ، أو الجلوس فى المتاجر ، أو التسكع فى الشوارع ·

قلنا لكم أكثر من مرة ان المسجد كان فى الاساس مدرسة ، كان معهدا فيه تخرج الصحابة فى صدر الاسلام ، وفيه تخرج غيرهم فى عهود متتالية · واذا ما نسيتم وجب علينا أن نذكركم بأن الجامع كان جامعة أيضا ، وانما أجدادنا كانوا يفضلون صفة المذكر فيقولون الجامع ، يعنى الجامعة كما يقال اليوم فى العصر الحديث ، عصر التانيث !
فقد كان الجامع يقوم بدور الجامعة اليوم ، هكذا كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومساجد أخرى كالجامع الاموى بدمشق ، والجامع الاعظم ببغداد ، وجامع الازهر بمصر ، وجامع الزيتونة بتونس ، وجامع القرويين بالمغرب ، والجوامع العديدة الكبيرة عندنا فى تيهرت ، وفى بجاية ، وتلمسان ، وفى بسكرة ، وفى طبنة ، والعاصمة، ومازونة ، وقسنطينة ، وآخرها الجامع الاخضر مثلا !

كان المسجد دار علم · هكذا كان جامع قرطبة بالاندلس ، كان المسجد جامعا وجامعة ، كان جامعا يجمع الامة لا للصلاة فقط ، ولكن للعلم أيضا ·

ولهذا كررنا لكم مرارا ، فى أكثر من منشور ، أن عليكم أن تقوموا أيضا بالتعليم فى المساجد · والتعليم يتمثل فى ثلاث مراحل : الدروس المسجدية التى أوصلت البعض حتى الى مستوى الاهلية ، بل وحتى الى مستوى البكالوريا ، وتحفيظ القرآن للصغار ، ومكافحة الامية لدى الكبار ·

وينبغى أن تكون الدروس المسجدية التقليدية التى تنصب على مختلف المواد حسب مستوى الامام وحسب رغبة المصلين المأمومين ، كالتفسير ، والحديث ، والفقه ، والتوحيد ، الخ · وهناك مكافحة الامية التى يهملها الكثير منكم ، ويحتقرونها ، ولا يعبأون بها ، ويظنون أنها مسألة ثانوية ، ومسألة بذخ وترف ، كما يقول البعض منكم · لا ، أبدا ، بل هى فى الصميم ·

هذه بعض أدوار المسجد ، وقلنا لكم انكم اذا كنتم فى دوركم مقتصرين على الصلاة فقط ، فان صلاتكم باطلة ، وصلاة المأمومين وراءكم باطلة ، لانكم تأخذون عنها أجرا ، تأخذون عنها راتبا من ميزانية الدولة ، هذه خسارة ، وهذا حرام ، وصلاتكم ضائعة باطلة ، وصلاة المأمومين وراءكم باطلة ، اذا لم تقوموا بجهود أخرى ٠ لان الامام فى صدر الاسلام ما كان يأخذ راتبا عن الصلاة بالناس ، اذ وظيفة الامام بهذه الصفة الموجودة اليوم لم تكن موجودة فى صدر الاسلام أبدا ٠ كان أى انسان يقوم بهذا الدور ، أفقههم ، أو أنظفهم ، وأكثرهم تنظيما فى نفسه وانضباطا ، وبالتالى أصلحهم لشؤون غيره أيضا ٠ كان هذا دور المسجد ٠ الامام لم يكن بهذا الراتب ، بهذه الصفة الرسمية كموظف ، يتلقى الراتب ليصلى بالناس فقط ويذهب ليتفسح فى الشوارع ، ويمشى فى الاسواق ٠ أبدا ٠ لم يكن هذا الوظيف ، ولكن لما أنشىء وأعطى له هذا الطابع الرسمى أصبحت له مهام جديدة ، مهام ملتصقة بمهام المسجد ٠

والمسجد ، كما قلنا ، كان دار علم بالدرجة الاولى ، والعلم والعمل كالصلاة ٠ فهما فى الاسلام عبادة ٠ فاذا كان المعبد فى الديانات الاخرى معبدا فقط ، أو أكثر مما هو شىء آخر ، فهو عندنا معبد ودار علم أيضا ٠ والعلم عبادة ، كما يقول الحديث الشريف ، نعم : العلم عبادة ، حديث شريف صحيح ٠ والى ذلك كان المسجد ثكنة ومجلس حرب ٠ واذا كان اليوم التنظيم الحديث يقتضى أن تكون هناك وزارة للدفاع ، واختصاصات موزعة ، وتوزيع عقلانى للعمل فى اطار الدولة ، وزال عن المسجد دوره هذا كرباط عسكرى ، وكثكنة ، وكمجلس حرب ، فان دوره العلمى ، كمجلس علم ، وكحلقة درس ، لم يزل ، ولن يزول أبدا ، ولا يزال قائما ، رغم وجود وزارات عديدة للتعليم ، أو وزارة واحدة ، أيا كان التنظيم فى هذا البلد أو ذاك ، فان مهمة المسجد لا تزال الى اليوم كدار علم ٠

اذن ينبغى على المسجد وعلى الامام أن يقوما بالتعليم أيضا ، على مختلف المستويات التى ذكرناها ، حسب رغبة المصلين وحسب مستوى الامام ٠ والمسجد كان دار قضاء ، كان محكمة أيضا ٠ واذا كان النظام الحديث الآن يقتضى وجود وزارة العدل ووجود

محاكم مختصة ، فان دور العلم ، دور التربية ، دور التهذيب ، لا يزال قائما ولن يزال قائما ، ولن يزول الى الابد من بين مهام الجامع !

هناك أدوار كثيرة جدا ومتنوعة للمسجد تتصل بحياة الامة فى مختلف تشعباتها العديدة ، من التى ذكرناها وأخرى لم نذكرها ، ومنها كونه مجلس حكم ، ومجلس الشورى ، واذا كانت هذه المهام كلها بأغلبها أصبحت موزعة الآن على سلطات متعددة ، حسب الاختصاص ، فان مهمة التعليم ، مهمة التربية ، مهمة التهذيب ، لا تزال قائمة اليوم ، والى يوم الدين ، لان اليوم الذى يصبح فيه الامام يأخذ راتبا عن الصلاة فقط ، على أن يؤم الناس فقط ، فان ذلك اليوم ينبغى أن تغلق المساجد ٠ لان صلاتكم باطلة ، وصلاتكم بالناس باطلة ، وصلاة المأمومين وراءكم باطلة ، اذا كنتم لا تقومون بهذا الدور ، دور التعليم ٠ ولهذا قلنا مرارا ، وأكدناه خاصة فى منشورات عديدة ، وأكدناه بصفة أخص عند افتتاح مدرسة مفتاح لتكوين الائمة ، التى حضر الكثير منكم افتتاحها ، وبالنسبة لمن لم يحضر منكم فقد نشرنا تلك الكلمة فى مجلة الأصالة ، وقلنا فيها : عليكم ، أيها الائمة ، أن تكونوا الرعاة الوعاة والدعاة السعاة !

ان يكون كل منكم راعيا واعيا ، وداعيا ساعيا ، ان يخدم ، وان يتصل ، وان يهتم بشؤون المجتمع كله ، بشؤون الامة كلها ، بجميع شؤون الامة ، وأن لا تقتصروا فقط على العبادات ، ولا على التعليم والتهذيب فقط ، بل ينبغى أن تتبعوا شؤون الامة وبناءها فى مختلف المجالات ، وفى سائر القطاعات ، على المستوى العام للبلاد كلها ، ينبغى أن تتبعوا كل هذا ، وألا تنزووا فى ركنة من المسجد وتكتفوا بحلقات الذكر ، وتظنوا ان هذا هو الاسلام ٠ تذكرون كلكم ما فعله عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عمر الفاروق ، الفاروق صيغة المبالغة من العدل ، عمر الفاروق الذى يمثل العدالة بحق ٠ فقد وجدهم ذات مرة خارج وقت الصلاة فى حلقة يذكرون ، فضرب أحدهم ، أو كثيرا منهم ، فى المسجد بدرته ، بعصاه التى كانت لا تفارقه ، وقال لهم:« اخرجوا» عندما وجدهم بعد الصلاة بصدد الذكر ، قال لهم : « اخرجوا ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » ، قد أديتم العبادة الواجبة ، صلاة الجماعة ، والآن اخرجوا الى العمل ، واستمروا فى ذكركم أثناء عملكم بالمزرعة ، أو فى المصنع ، أو فى المتجر أو فى

غيرها • هذا هو المفروض عليكم ، ان تكونوا الرعاة الوعاة والدعاة السعاة ، أن تكونوا رعاة ! أن يكون كل منكم راعيا • ما معنى الراعى ؟ الحديث الشريف يقول : « كلكم راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته » • الراعى هو الراعى باللغة العامية متاعنا ، الراعى يرعى الغنم ، أو يرعى الماعز ، أو يرعى بنى آدم • وهذا موجود حتى فى بعض الديانات الاخرى • فعند البروتستانتيين فى أوروبا لا يقولون له قسيسا ، بل يسمونه الراعى Schaefer, Pastor • والراعى يرعى الناس ، يرعى بنى آدم ، يرعى الامة •

هذا هو المعنى • ولا تظنوا أن دوركم يقتصر فقط على الصلاة على الميت ، أو البقاء منزويين فى المسجد للذكر ، ولبعض الحلقات ، والتجمع فى بعض المتاجر والسلام • لا ، ليس هذا أبدا • ولهذا فسنستعمل الصرامة وغاية الشدة فى المستقبل ، بأكثر مما فعلناه فى الماضى ، بعد أن نبهناكم مرارا ، بعد أن أنذرناكم شفويا وكتابيا ، ولكن بعضكم لا يرعوى ، وقد أعذر من أنذر ، وأنذرناكم مرارا ، اذن اعذرناكم • ما معنى اعذرناكم ؟ أزلنا عنكم العذر ، لم يعد لكم عذر • تدركون هذا كله • وسنستعمل معكم غاية الصرامة ، وغاية الشدة ، فى المستقبل ، ابتداء من اليوم • سنستعمل غاية الصرامة وغاية الشدة على مستوى الوطن ، وليس فقط ، طبعا ، فى ولاية وهران ، أو للغرب الجزائرى •

ينبغى اذن أن تدركوا عمق هذه المسؤولية ، تدركوا مدى أهمية الواجب الملقى عليكم ، وأن لا تبقوا هكذا سلبيين ، مرتخين ، مفككى الاجزاء ، منحلى الاوصال • وقد قلت مرة كلاما حارا للائمة فى ولاية الجزائر العاصمة ، عندما جمعتهم ، وعاتبنى بعض الاخوان المساعدين فى الوزارة بعد ذلك قائلا اننى تشددت معهم كثيرا ، واستعملت معهم غاية الصرامة فى الحديث • هذا فى الحديث فقط ، ولم نصل الى الخصم من الراتب ، والى التوبيخ ، والى اعلام الوظيف العمومى • لم نصل بعد الى هذا ، ولكن سنبدأ فيه قريبا ان شاء الله • ماذا قلت لهم ؟ قلت لهم ان تلك « الاخوات » ، اللاتى يسمين « الاخوات » باللغة المسيحية Les Sœurs ، « السورات » ، يركبن على الدراجة ويقفزن ، ويطرن ، وأنتم نائمون ؟ وأنتم واقفون ؟ ولا تطردون حتى الذباب عن أعينكم ! تسيرون هكذا مهلهلين ، مخلخلين ، مزعزعين ، مهزوزين ؟ لا ! بل ينبغى

ان تقفزوا قليلا ، ينبغى أن تطيروا ، أن تتحركوا ، أن تستيقظوا . ان مجنونا يطير فى السماء أفضل من النائم المرتخى ! انى أفضل أن أرى كلا منكم بشيابه فى الهواء على ان أراه مرتخى الاوصال ، مفكك الاجزاء ، لا يطرد الذباب عن عينيه ، فى المسجد أو غير المسجد . ينبغى أن تنتعشوا قليلا ! ان تكونوا طبق ذلك المثل الذى قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه لاحد الشباب ، كما روته عائشة ، عندما التقى بأحد الشبان . قال له عمر بن الخطاب ، وما أدراك من هو عمر بن الخطاب ؟ عندما مر به فى أحد شوارع المدينة ، والشاب مرتخى الاوصال ، مفكك الاجزاء ، مثل الكثير منكم ، فضربه عمر بعصاه على أم رأسه ، بدرته المشهورة ، وقال له : « مالك مرتخ هكذا ، مالك تتماوت فى مشيتك ! فقد أمتم علينا ديننا اماتكم الله ! » وأعطاه بالعصا على أم رأسه .

هذا ما ينبغى ان نستعمله معكم ، ما دمتم هكذا أمواتا ، مفككى الاجزاء ، مرتخى الاوصال ، محلولين ، مهلهلين ، مخلخلين . ينبغى أن تحيوا قليلا ، وأن تضربوا المثل ، أن تعطوا القدوة ، أن تكونوا فى حزم الامام على ، الامام على ! خذوا اسمكم من الامام على ! خذوا اسمكم من الامام الاول ! خذوا الصفات منه ! خذوا الصفات التى تتمشى ، التى توافق ، التى تأتى من هذا الامام ! خذوا من الاسم مسماه عنه ، بل مسمياته العديدة ! خذوا تلك الصفات ، صفة الامام الحازم ، الجازم ، القافز ، النشيط ، الحى ، الذى يحيى الآخرين ، الذى يحرك ، الذى يهز ، الذى ينغز ، الذى ينعش ، وعند الضرورة ، الذى يصدم الغير ، ليبعث فيهم الرعب ! ليبعث فيهم الحياة !

هذا ما نطلبه منكم . هكذا ينبغى أن تكونوا ، جسما حيا فى الامة . ولهذا قلنا لكم كونوا الرعاة الوعاة ، لا الغافلين ، النائمين ، الراقدين ، مع الزردة ، والوعدة ، والقعدة ، والرقدة ! تحركوا قليلا ، كونوا الرعاة الوعاة ، والدعاة السعاة ! وغدا ان شاء الله ، وفى المرة المقبلة ، عندما نتلاقى ، نرجو أن نتكلم فى أشياء أخرى ، وألا نكرر هذه البديهيات ، هذه المسائل التى تكاد تكون لغوا من الكلام ، لانه ما كان ينبغى أبدا أن نكرر ونعيد الكلام فى مثل هذه الامور ، الواضحة ، بل البديهية !

وقد ذكرنى الاستاذ الشيخ الزبير الآن بنقطة هامة ، وهى أنه فتح لكم على مستوى الولاية فرعا لمدرسة مفتاح ، مدرسة تكوين الائمة .

ولعلم الاخوان الآخرين من جهاز الدولة الحاضرين هنا نقول ان مدرسة مفتاح هذه ، المنشأة فى الجزائر العاصمة ، والتى افتتحت منذ سنتين ، تحاول ان تعطى الائمة الموجودين حاليا فى الجهاز مستوى معينا من التعليم ، من الثقافة ، فى الميادين المختلفة ، من فقه ، ونحو ، وصرف ، وحديث ، وكذلك تاريخ الجزائر ، والنظام الادارى فى الجزائر ، والنظام الاقتصادى ، والنظام الاجتماعى ، وكذلك اللغات الاجنبية ، بقدر الامكان ، وكذلك التيارات الاقتصادية والسياسية المعاصرة ، والايديولوجيات المختلفة ، وتاريخ الاديان المقارن ٠

هذا كله وضع مؤقت ، ريثما تقوم كليتا الشريعة فى قسنطينة وأصول الدين فى وهران ٠

وقد أنشأ لكم الشيخ الزبير هنا فرعا على مستوى ولاية وهران ، ينبغى أن تحرصوا كل الحرص على تتبع هذه الدروس ٠ وقد تلقى تعليمات صارمة ليطبق هذه الصرامة عليكم ، وكل من يرتخى منكم ، ويتهاون ، ويتكاسل ، وينعس ، ويتغيب عن هذه الدروس ، سيعاقب العقاب الشديد ، الصارم ، بالخصم من الراتب أولا ، والتوبيخ ، ثم بالعزل مباشرة ٠ ولا سبيل هناك الى التدخل ، ولا الى كتابة رسائل ، وشكاو ، ودعاو ، أبدا ! فعندما يصدر الامر انتهى ، وانقضى ، وخلاص ، كما يقول اخواننا المصريون ، وخلاص !

اذن ينبغى أن تعملوا بهذا كل العمل ٠ الدولة قد اعطتكم الآن حقوقكم ٠ أنتم الآن موظفون فى جهاز الدولة ، كأى موظف آخر ، فى الداخلية ، أو الخارجية ، أو الدفاع ، أو الرئاسة ، أو غيرها من الوزارات والمؤسسات والاجهزة للبلاد ، فى الحزب أو فى الدولة ٠ لديكم كل الحقوق ، لديكم التقاعد ، لديكم الضمان الاجتماعى ، لديكم العطلة ، لديكم العلاج ، لديكم كل شىء ، لديكم نفس الحقوق كغيركم الآن وستتلقون قريبا ان شاء الله تلك النسب التى تعطى لكم بالنسبة للعلاوة أو الزيادة فى الراتب ، حسب المقاييس ، ابتداء من انطلاق الميزانية الجديدة فى شهر مارس ان شاء الله ٠

والذين بلغوا السن سيحالون الى التقاعد ، وتحفظ لهم كرامتهم وكرامة عائلاتهم ، التى لا تزال الى حد الآن معرضة مع الاسف ، لان هذا لم يدخل بعد فى حيز الفعل ،

ولكن الآن قد صدر المرسوم فى الجريدة الرسمية الذى يعطيكم جميع هذه الحقوق ، ويسويكم بجميع الموظفين الآخرين فى أجهزة الدولة ٠

وكلمة الموظف ليست تحقيرا أبدا ٠ فكلنا موظفون ، من الرئيس الى أدنى موظف فى جهاز الدولة ، فى أى سلم فى الدولة ، من العساس ، والجباس ، والكناس ، الى الرئيس ٠ كل منا موظف ، أى فى خدمة الامة ٠ والعبرة فقط بتوزيع الاعمال على أدوار ، وعلى مستويات مختلفة متفاوتة ، حسب مستوى التعليم ، وحسب الكفاءة ، وحسب الصحة ، وحسب الخبرة فقط ، أما الوظيفة فهى الوظيفة ، من الرئاسة الى آخر رتبة فى السلم فى البلاد ٠

اذن فأنتم الآن لديكم نفس الحقوق التى لغيركم من الموظفين ، فى جميع أجهزة الدولة ، ولكم أن تقوموا بدوركم ، فعليكم واجبات الى جانب هذه الحقوق ٠

ينبغى أن تعوا هذه الحقوق ، ينبغى أن تعمقوا وعيكم وروح مسؤوليتكم بأداء هذه الواجبات ، بالمسؤولية الملقاة على عاتقكم ، ينبغى أن تعوها كل الوعى ، واذا لم تعوا ، ولم ترعووا ، فلن تلوموا الا أنفسكم ، ونرجو من الله ألا نتكلم فى المستقبل الا فى الايجابيات ٠

والسلام عليكم ٠

الرستميـون قنطـرة صلـة بـين الجزائر والاندلس من خـلال الاباضية

د . سلفادور غومث نوغاليس
رئيس قسم الفلسفة الاسلامية
بالمعهد الاسباني العربي للثقافة
مدريد (اسبانيا)



اقترح لمساهمتى فى هذا المؤتمر نقطتين جذبتا اهتمامى لعلاقتهما بالنقطة الاساسية التى طرحها منظمو المؤتمر ، أقصد الرستميين .

النقطة الاولى ، هى علاقتهم باسبانيا . بدا لى من قراءاتى المستطلعة الاولى ان ذلك كان موضوعا جديرا بان يكون قد درس وبحث ، وما يتعلق به جدير بان يلفت اهتمام اعضاء المؤتمر .

النقطة الثانية ، تتصل بما ارانى مدفوعا الى التعامل بصورة متكررة ، فى محاضرتى ودروسي عن الفلسفة العربية ، أو فى بياناتى وايضاحاتى للغربيين عن العالم الاسلامى، اقصد الافتراض الجبرى عند المسلمين . هل الاسلام ينفى الاختيار « الحرية » ؟ . ما هو مذهب الرستميين فى هذا خاصة ؟ . سوف أشرح لكم حالا لماذا سأعالج هذا الموضوع بالذات عند بنى رستم .

بالنسبة للموضوع الاول ، حتى وان كنت سأقول أكثر من كلمة .بكل تأكيد كانت هناك علاقات بين* الرستميين والاندلس ، هناك بعض المؤرخين يصلون الى القول بان بنى أمية قد لجأوا الى ورجلة واختفوا بها قبل عبورهم الى الاندلس . ان ذلك يبدو لى شيئا بعيد الاحتمال لسبب تأريخى . ان النصوص المتحدثة عن العلاقات بين بنى رستم

(*) ننشر هذه المحاضرات طبقا لمبدا نشر كل محاضرات الملتقى الذى اعلنا عنه فى العـدد الاول من الاصالة تعميما للفائدة ، ولطلب الكثير ممن تصلهم المجلة ولا تصلهم كتب الملتقيـات .

والامويين الاسبان تنقسم الى من يتحدث فى صالح تأكيد هذه العلاقة والآخر على العكس يستنكرها على حسب ما ينتمى اليه من المدارس الاسلامية • فى مواجهة هذه الصعوبات ذات الطابع التاريخى عدلت عن التحدث فى هذا الموضوع بنفسى لسببين :

أولا : لان التاريخ ليس صنعتى كما هو الحال فى تصورى للافكار وانتقالها عبر مختلف العصور •

والسبب الثانى : لان التعامل مع موضوع تاريخى اسبانى يستحق ان يتناوله واحد من المؤرخين الاسبان متخصص فى الموضوعات الاندلسية • وفى حالتنا هذه نترك الامر للدكتورة ماريا خيسوس فيغيرا ولذكائها وفطنتها أترك لها بحث هذه النقطة • ومع ذلك فهنالك ما اود ان ابرزه فى تلك اللحظة التى اترك فيها التاريخ ، وألتجىء الى العقيدة يهمنى ان اضع خطا هنا • لقد كانت العقيدة الاباضية هى الشائعة بين الرستميين هل يمكن ان أؤكد شيئا عن العلاقات بين الاباضية والاندلس ؟

ومن المعروف ان البؤرة الاساسية للاباضية كانت المغرب ، وبتحديد أكثر ، فى لحظة محددة من تاريخه، كان اقليم ورجلة • اذن الافكار الاباضية استطاعت الانتقال الى الاندلس عن طريقين :

أولا : من خلال الخلفية العامة الموجودة بين الافكار الدينية والفلسفية للاباضية وباقى المدارس التى عبرت معها الى الاندلس •

والثانى : عبور الافكار الخاصة بالاباضية الى الاندلس •

وللاجابة على المسألة الاولى علينا ان نحدد أولا امكانية تصادف أو اتفاق مدارس أخرى مع الاباضية • سيكون لذلك تأثيره غير المباشر ، شيئا من ذلك ستقوله دراسة للمصادر الاباضية ، أو سيكون صعبا جدا اثبات ان هذه الفرق المختلفة من الاباضية قد دخلت خلالها • الشىء البديهى المؤكد هو انه خلال فترة مبكرة كانت الاباضية معروفة فى الاندلس ، من حيث عبرت قادمة من المغرب وليس مباشرة من المشرق • ومن غير المعروف تماما حتى الآن تلك المؤثرات الداخلية مباشرة من المشرق • من بين الاعضاء الستة المكونين لمجلس الشورى الذى كان عليه اختيار الامام الاباضى فى عام 168 هجرية ، بعد وفاة عبد الرحمن بن رستم ، كان هناك شخصيتان من أصل اسبانى ، مسعد الاندلسى ، وعثمان بن مروان الاندلسى •

الموضوع الثانى ، يأتى فى اشارات ابن حزم فى القرن الخامس الهجرى ، الحادى عشر الميلادى ، بانه وجد فى الاندلس بعض البقايا من الاباضية (الفِصَلْ ج 4 ص : 179 الى 191) ٠

اننى متأكد من ان بعض المتخصصين فى هذه المادة والموجودين هنا يمكنهم ان يعالجوا بكفاءة اكثر مما استطيع ، العلاقات بين الرستميين والاباضية ، كذلك الامر بالنسبة لاصول هذا المذهب ٠ اننى فقط سوف اركز على تلك الملامح التاريخية أو العقائدية ، والتى يمكن ان يوضحها لنا موضوع محاضرتى ٠

ان أصول هذه العقيدة تمنحنا واحدة من المميزات الظاهرة جدا فى الاباضية ، فى فجر التاريخ وقبل ميلاد هذه العقيدة ، أى فى القرن الاول من الهجرة ، السابع الميلادى ٠ قد ظهر فى مواجهة المذهب الخارجى مذهب آخر ذو ملامح متشابهة ٠ تكون حول شخصية اعتاد الاباضيون ان يذكروها بكل توقير وتكريم كواحد من أوائل الائمة فى هذا المذهب ، ذلك يتعلق بابن بلال مرداس بن عدية التميمى ٠ اسم هذا المذهب هو الصفرية ، والتى تمثل أيضا صيغة معتدلة بين الخوارج ٠

ولكن بناء على المتواترات الاباضية التى اثبتها ابو مخنف منذ منتصف القرن الثانى من الهجرة ، الثامن الميلادى ، فان بداية هذا المذهب قد حدثت فى عام خمسة وستين من الهجرة ، ستمائة وأربعة وثمانون من الميلاد عندما انفصل عبد الله ابن اباض المرى التميمى عن موقف الخوارج المتطرفين متجها الى باقى أهل التوحيد ، مما اعطى اسمه الى المذهب الاباضى أو الى المدرسة الاباضية ٠يبدو لى ان اباض كان الرئيس « امام أهل التحقيق ، امام المسلمين أو امام القوم »لنوع من الحكومة الدينية الاباضية السرية « جماعة المسلمين » ، أى انه ألف مجلسا مكونا من كثير من المشايخ مشابها للمجلس الذى كونه AZZABA عزابة الاباضية فى شمال افريقيا بعد سقوط أئمة بنى رستم ٠ لقد كان هو كاتب المناظرات فى مواجهة الخوارج المتطرفين ، ومن المحتمل ان قعوده كان ينتجه بامل ما فى الوصول الى اتفاق أو تفاهم مع الخليفة الجديد عبد الملك بن مروان (65 ــ 86) ٠

تلك السياسة التى بدأها ابن اباض فى اتجاه الامويين سوف يتبعها خليفته أبو الشعث جابر بن زيد الازدى المؤسس الحقيقى للمذهب ، والمحدث البارز الشهير ، العمانى النشأة ، ولقد كان واحدا من انفع تلامذة واصدقاء عبد الله بن عباس وحفظ عنه الكثير من الاحاديث ، ولقد روى لتلاميذه الكثير جدا من الاحاديث السنية ، مجادلا بعنف وبكثرة فى مواجهة الخوارج المتطرفين ، ومؤسسا بصورة نهائية المذهب الاباضى، ولهذا فان المراجع الاباضية تعده عمدة الاباضية أو أصل المذهب ٠

ليس من الممكن ان يحكى بالتفصيل تاريخ الاباضية ٠ ولكن اذا كان من الملائم ان نذكر شيئا عن تلميذ جابر الاكثر نجابة ، وصاحب التأثير السياسى الايجابى ، اقصد وريثه كرئيس للجماعة الاباضية فى البصرة أبو عبيدة مسلم بن ابى كريمة التميمى ، عندما كان جابر منفيا الى عمان بسبب تمرده ضد حاكم العراق، كان أبو عبيدة مسجونا، زاول تأثيرا كبيرا على المتأخرين من بنى امية ٠ لكن بالنسبة لخطه السياسى المعتدل ، لم يكن يرغب فى التمرد بصراحة ضد بغداد ربما بسبب اشفاقه من شقاق فى المجتمع الاباضى ربما قد يحدث ٠ ولكنه اعترض على خروج الاباضية من البصرة ٠

لهذا لم يهرب مثلما فعل باقى الخوارج ، وانما استوعب خطة ذات تأثير كبير ضمن موقفه المعتدل ، مستغلا غنى الجماعة الاباضية ومتخذا لها كاساس لمشروع دعائى اباضى فى كل انحاء العالم ٠ الخطة كانت اقامة امامة اباضية مع بقايا الخلافة الاموية ٠

لقد حافظ على نظام الدعاة الذين ارسلهم فى كل الاتجاهات ، ومن هنا خرج الدعاة الذين وصلوا الى المغرب لكى يقيموا هناك الجماعة الاباضية ، استقروا أولا فى اقليم طرابلس مؤسسين مدينة طرابلس لتكون مقرا للدولة الجديدة ، وفى سنة مائة وواحد وأربعين هجرية ، سبعمائة وثمانية وخمسين ميلادية ، وصلوا الى الاستيلاء على القيروان ، العاصمة العربية لافريقيا فى ذلك الوقت ، هذه الدولة الاباضية الجديدة قد تحكمت فى كل الاقليم الطرابلسى فيما بعد الحدود الغربية لبرقة ، تونس وشرق الجزائر الحالية ، ومتضمنا موطن كتامة فى شمال قسنطينة ٠

عند تحطيم هذه الدولة بواسطة قوات العباسيين فى عام مائة واربعة وأربعين هجرية ، انسحبت بقايا هذه الدولة الى داخل الاقليم الطرابلسى والى المغرب الاوسط ٠

هكذا بدأت مراكز المقاومة الجديدة للعباسيين ٠ وهكذا فان عبد الرحمن بن رستم، الحاكم الاباضى القديم للقيروان وواحد من حملة العلم فى البصرة قد ذهب الى المغرب من بلاد الجريد حيث التقى بالكثير من العلماء الاباضيين ، الفارين من اقليم طرابلس ، فى هذا الاقليم الغربى من الجزائر الحالية اعادوا تأسيس مدينة تيهرت ، والتى ظلت لمدة من الزمن البؤرة الرئيسية للاباضية فى افريقيا ، أعلن ابن رستم اماما فى عام مائة وستين أو فى عام مائة واثنين وستين هجربة ٠ الامامة الرستمية ضمت جنوب واحات وادى برج وورجلة ولقد شهدت فترات من الازدهار العظيم معترفا به من البصرة ، وان كانت فيما بعد قد سقطت على يد بنى الاغلب ٠ الباقى من دولة تيهرت استمر حتى 909/296 مائتين وست وتسعون هجرية ، تسعمائة وتسع ميلادية ، فى هذا العام سقط على يد ابو عبد الله الشيعى ، والذى أسس الدولة الفاطمية على انقاض الاغالبة ، الرستميين ، أهل سجلماسة ٠ وعند سقوط تيهرت فان آخر الائمة الرستميين ابو يعقوب قد هرب مع العائلة ومؤيديه الى « سدراته » فى واحة ورجلة الى الجنوب من دولة تيهرت ٠ ولقد تعرض الفاطميون أيضا لورجلة فى محاولة للقضاء على أية فكرة لاتخاذها مركزا للاباضية ٠ يمكن القول بان الملك الرستمى قد مات الى الابد ولكن ليس الامر كذلك فى المدرسة الاباضية ، والتى واصلت واستمرت حتى يومنا هذا ٠ لقد قام المؤرخون على مدى العصور بابراز قيمة واهمية هذا الاقليم الذى يقام فيه هذا المؤتمر اليوم ٠ وبفضل الرستميين قد احتفظ لنا بالاعداد الوحيدة الباقية من الخوارج ، والتى لم تبق فى أى جزء آخر من العالم ٠ ولربما يرجع هذا وبدون شك على الاطلاق الى صبغتهم المعتدلة ، وانهم حافظوا باستمرار على الاقتراب الشديد من أهل السنة سواء فى السياسة أو فى المذهب العقائدى ٠

وبهذه الطريقة يتبين لنا الاطار التاريخى لتصرف الاباضية ٠ وعلى هذا يمكننا القول بان السمات الرئيسية كانت التوازن والاعتدال بين من يحيط بها من المتطرفين ،

وذلك يشرح لنا انه عندما تحاول التدقيق فى مصادر ذلك المذهب فان الواقع انك سوف تجدها قريبة جدا عن عدد ليس بالقليل من المدارس الاسلامية .

بدا لنا منذ البداية ان لهم علاقات مع الرواة من أهل السنة ، ولكن بشيء محدث دائـــما .

قبل الدخول مباشرة فى الموضوع الرئيسى للمحاضرة ، أود التوقف عند نقطة ندين بتوضيحها هى بالذات الى واحد من أهل ورجلة ، انه شيء يبدو لى اساسيا فى بناء علاقات الاباضية مع أهل السنة ، وبخاصة مع المذهب المالكى . ذلك التوضيح يعطينا اياه أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلانى . ان ذلك يتعلق بالتحقق عن ما هى مصادر الفقه بالنسبة للاباضية؛ أو بمعنى آخر ما هى الاجتهادات الاساسية للاباضيين. بناء على ما يقوله واحد من أهم المؤرخين لهذا المذهب « السالمى » فى مناظرته يؤكـد بان ثلاثة ؛ هم جذور الفقه عند الاباضية : القرآن ، السنة ، والاجماع . فى الموسوعة الاسلامية يقال : بان الاباضية تعترف بان أصول الفقه فقط هى : القرآن ، السنة ، الرأى . وكذلك ينسب شكيب ارسلان للاباضية بانها ترفض الاجماع والقياس ، منيبة عن كلا الاثنين مبدا الرأى .

تحدث السالمى بصفة عامة قائلا بان أصول الفقه هى : القرآن ، السنة ، الاجماع. ويكمل ذلك القياس المدعم بادلة ليست من المذهب الاباضى ، ويضيف بعد ذلك شيئا يثير الفضول .

ان الخصوم فقط ، أى من ليسوا اباضيين ، هم الذين يرفضون الاجماع . لعلـه يفترض ان هؤلاء الخصوم هم الفرق من المعتزلة ، وبعض مذاهب الخوارج والشيعة . اما عن الاجماع فلقد قدم دفاعا مجيدا .

SACHAU المتخصص العظيم فى الاباضية يتعرف على : الكتاب والسنة ، والاجماع كمصادر لذلك الفقه ، ولكن فى وقت متأخر. MOTYLINSKI فى حديثه عن عقيـــدة أهل الشمال الافريقى يعود الى التأكيد بانه ليس من الممكن القول بأكثر من ثـلاثة مصادر للتشريع : الوحى ، السنة ، والرأى .

الايضاح لكل هذه المعميات يمكن ان نجده فى كتاب الدليل لاهل العقل للورجلانى. يقول لنا ذلك المؤلف : ان البرهان يمكن ان يصدر من : الكتاب ، السنة ، الاجماع ، ومن العقل . هذا المعنى الاخير ليس من شك على الاطلاق فى انه يعادل القياس . ويضيف : وليس من الممكن ان ترى مصدرا خامسا الا التقليد . انه يميز الاجماع كالآتى : «**اجماع أهل العلم من الافراق مع الامة**» .

ان الخطأ يتضح بسهولة حينما يسمى الاجماع بعد ذلك « برأى المسلمين » ومثل ذلك بعد عدة سطور من ذلك التمييز الذى نقلناه الآن يقول لنا : الوجوه الاربعة : الكتاب والسنة ورأى المسلمين ، والعقل . فى مثل هذه الحال فان الرأى ، والعقل مترادفان . ومن هنا يمكن ان نقول ، فى النقاط الجوهرية ان الاباضية تتفق مع السنة وذلك ما يشرح استمرار حياتها حتى ايامنا هذه .

من الواجب أيضا البحث عن علاقات القرب بين الاباضية والصوفية.سمة الكتمان التى استمرت خلال الفترة التى لم تستطع فيها الاباضية الالتقاء مع الظروف التى تسمح لها بالعيش فى الظهور . تذكر قليلا ، الطرق الباطنية للصوفيين . ولكن بدون الذهاب بعيدا ، فان الورجلانى نفسه قد نسخ فقرات بنصها عن الغزالى . وبخاصة فى درجات التطهر فى ذلك المذهب ، وان كان لا يذهب بنا ذلك الى اعطاء صفة الصوفية الى الاباضية .

القراءة التفصيلية للاباضية يمكن ان نستنتج منها نقاطا ليست بالقليلة تتصل بالاشعرية ، والمعتزلة . ان التعايش بين هذه الفرق الثلاث يمكن ان يشرح التوافقات غير القليلة .

لن ننسى ـ على سبيل المثال ـ ان واصل بن عطاء ـ واضع اساس الاعتزال كان يطور نشاطه فى البصرة فى نفس فترة ابو عبيدة .

وبالتأكيد ، وفى تلك النقطة التى سنشرحها فى تلك اللحظات يمكننا ان نلاحظ بان العقيدة الاباضية ستحتل مكانا وسطا بين الاشعريين والمعتزلة ، وذلك بالتأكيد لانها وضعت فى تفكيرها مسار المدرستين .

انتقل الآن الى الجزء الثاني مما اعددته ، والذى سبق القول عنه بانه ليس أكثر من مجرد تحضير ، بكل تأكيد منه يمكن ان نتفهم افضل • انه شيء قد شغل تفكيرى دائما واهمنى فى دراستى اللاهوتية ، اقصد بذلك : العلاقات بين الحرية الانسانية والتدبير الالهى ، اذا كان الله يفعل كل شيء اذن فأين هى حريتنا ؟ واذا كان الانسان حرا بما فى ذلك اعتراضه على الارادة الالهية فأين هى السلطة المطلقة للاله ؟ ، الحلول تمضى مغلفة بالاسرار وبدون ان يكون هناك جواب واحد صريح ، يمكن ان يزيل كل تلك الشكوك ، فنحن لم نعرف الله بطريقة شاملة مستوعبة ، ولا لغز الانسان قد وصل الى فك طلسمه تماما لكى يوضح لنا متى نكون احرارا تماما •

لقد خدمتنى هذه المقدمة مرات كثيرة حين جعلتنى أرى فى محيطى وعالمى غير الاسلامى بأن مشكلة الارادة الانسانية ليست قاصرة على الاسلام وانما هى من الاشياء الواقعة تحت جميع الاديان ، ولكل من يرغب فى عمل دراسة متعمقة لاسرار الانسان •

لكن فى تقديرات الاسلام بالنسبة للكثيرين من الغربيين ان المسلمين انما هم جبريون • ومن هذا الجبر ـ بناء على ما يقولون ـ ينبع الخمود وفقدان قوة الارادة عند المسلمين • ان ذلك ينتشر فى كثير من الدراسات النفسيةوعند تعداد الخصوم للحرية الانسانية يسجل المسلمون فى المجال الاول ، ويكون استغرابهم كبيرا عندما يتاح لهم ان يروا فى التاريخ الذى بين ايديهم ان الاغلبية الاسلامية دافعت عن الحرية الانسانية وان الشيء الوحيد الذى اجمعوا على معارضته هو ان الله بأى شكل من الاشكال يمكن ان يتعرض لتحكم الانسان •

يصلح كل ذلك كمقدمة لكى نرى أهمية الموضوع • وان كنت اليوم أريد ان اقول لكم بأن دراسة الاباضية ، قد اكتشفت مذهبا اصيلا ، شيئا مختلفا عن كل ما تعودت الالتقاء به حتى الآن فى الفلسفة الاسلامية •

علينا ان نترك المبادىء الاساسية للاسلام موضحة تماما : أولية الاله وبخاصة قدرته على الخلق ، التسليم بقدرته المطلقة ، الله القادر على كل شيء ، ليس من احد يستطيع الاعتراض على قصده ، ولا على تدبيره •

هذه المقدرة الآلهية المطلقة تشرحها الاباضية فى صيغة عامة الى حد كبير مع غير القليل من المدارس الاسلامية ، الله خالق كل افعال الانسان ، ظهر ذلك كله جليا فى مدونات أبو زكريا الورجلانى ، حين ينقل الينا محادثة حاول فيها الشيخ أبو نوح نقض افكار ابن حموا . لقد حاول فيها ان يستفزه وبالتأكيد استطاع ان يحصل على التصريح « كل ما هو جديد مخلوق » . فى مكان آخر يحكى ابو زكريا : بانه ذهب لزيارة ابى نوح عندما كان مريضا ، فقال له ابو نوح : ان الشيطان يلقى الى بالشك نحو معلمى ، ويجعلنى اهاب الموت ، عند ذلك اجابه أبو زكريا « اتعرف ... يا شيخ ... بان كل ما يأتى الى روحك يشكل جانبا من تصوراتك ، أو يزعزع من ثبات قلبك وذلك الذى تصل اليه بذكائك ، كل ذلك يشكل جانبا من خلق الله » .

لكن هذا المبدأ الذى يبدو واضحا جدا لعقلية مسلمة مؤمنة ، انما يزرع سلسلة من المشاكل عندما يراد عمل جمع بينه وبين الحرية الانسانية . توجد ثلاثة حلول تقليدية توضع عادة فى جميع المحاولات اللاهوتية الاسلامية تقريبا . اثنان متطرفان والثالثة فى الوسط . الذين يؤمنون بالقدر يميلون الى الدفاع عن الحرية بوجه عام انها العقيدة التى يدافع عنها من يسمون بالفلاسفة الاسلاميين . النص المعارض هو الذى يمثله أهل الجبر ، ان الله سبحانه وتعالى قد قدر على الانسان كل افعاله ، وكل ما يفعله الانسان انما هو من خلق الله فيه ، فى نظرية كهذه من الصعب جدا ان ترى الحرية الانسانية .

الموقف الوسط كان يمثله الاشعرية ، ما بين نشاط ايجابى للانسان يكون مستقلا عن ما لله . ونشاط ايجابى لله يتحكم فى كل التحركات الانسانية ، من الممكن السماح بنشاط سلبى للانسان ، ذلك هو استقبال افعال الله . بين القدر والجبر يكمن الكسب أو الاكتساب . هذه القدرة على تقبل افعال الله انما هى حرة فى الانسان، ولكن فى مواجهة سؤال اخير ، هل هذا الاكتساب واحد من افعال الانسان ، أم هو واحد من افعال الله فى الانسان ؟

يجيب الاشعرية : بناء على المبادىء العامة ، كل الافعال انما هى من عند اللـه ، ويترك دائما الشك فيما اذا ما كانت الحرية الانسانية عند الاشاعرة انما هى حرية اسمية بحتة ٠

اعتقد ان افضل من عالج موضوع الكسب هذا فى الاباضية ، انما هو اباضى من عمان اقصد أبو محمد عبد الله بن حميـــد السالمى ، فى كتاب له منشور بالقاهرة تحت عنوان « بهجة الانوار » شرح انوار العقول فى توحيد ٠٠٠٠٠ وان كان من غير تاريخ الا انه لاحق على العام 1317 هجرية ٠ مذهب الاكتساب يوجد فى الجزء الاول ، ما بين الصفحات : 139 ــ 146 ٠

قبل كل شىء على ان اذكر بان صيغة الاباضية انما هى بصورة أوضح ضمن خط الاكتساب الاشعرى ٠ دون أن يكون هنا نص على الاطلاق يمكن ان يثبت القول بان الاباضية قد اخذت مذهبها من الاشعرية ٠ ثبت ان الاباضيين لم يكونوا قدريين ولا جبريين ، ومن المؤكد انهم كانوا يعرفون عقيدة الاشاعرة ، وفى التطبيق فى الواقـع يفسرون باصطلاحات اشعرية ٠ وعلى هذا المثال واحد من معاصرى الاشعرية ، يسمى الكعبى ، وتوفى فى عام 931 تسعمائة وواحد وثلاثين، يقول لنا معتمدا على الشهرستانى (جـ 1 ص 181) بان الاباضيين يظنون : « ان افعال الانسان قد خلقها الله الاعلى فى قدرته على الابداع والتاليف ، ومكتسبة بواسطة الانسان ، بذلك المعنى الخاص ، وليس المجـــازى » ٠

ان الاصطلاحات اشعرية ، ولكن ليس من الحتمى القول بانها نقلت عن الاشعرية ، وذلك لان الكسب والاكتساب يمكن الالتقاء معها كثيرا ضمن القرآن الـــكريم والذى استخدم فقط للدلالة على الافعال الانسانية ، اما الفعل من جهة أخرى فانه يستخدم للتعبير عن الافعال الآلهية مثلما استخدم للافعال البشرية ٠

ومن المعتاد الاحتفاظ بكلمة الخلق لله وحده ٠ وان كان فى بعض الاحيان يمكن ان تنطبق أيضا على الانسان ٠

ولعله مما يثير الفضول حقا ان المعتزلة فد تعودوا على البرهنة بآيات الاكتساب لكى يدافعوا عن الحريـة المطلقـة للمخلوق ٠

أهل الجبر الذين ينكرون الحرية الانسانية يحولون الكسب والفعل عند الانسان الى مجرد انفعال أو تأثر غير لائق بالوصف ، انه فقط مجرد مظهر • بالنسبة للمعتدلين فان الاصطلاح يعنى الناحية البشرية من وقائع موضوعة فى الوجود بواسطة الآله • عند أهل الاثبات المعاصرين للاشعرية ، فانهم يجادلون حول العلاقة التى كانت بين المكتسب والفاعل (ج 2 ص 540) ، محمد بن عيسى ناقش فى مسألة العلاقة بين القدرة الآلهية وبين الكسب ، عديدا من الكتاب قد سبق استعمالهم الاكتساب فى صيغهم ، مما نستطيع معه ان نعتبر انه كان قبل الاشعرية بكل وضوح • من المؤكد ان الخوارج كانوا خصوما للقدرية ومن ذلك ما يضعه الشهرستانى على لسان مؤسس المذهب من كلمات : الله قد خلق الافعال للعبيد يختارونها بقوة وارادة • وهو مسؤول عنها فى الخير والشر ، ويحاسب عليها بالجزاء أو العقاب » •

بناء على ذلك فان الاباضيين يمكن لهم التوصل بطرقهم الخاصة وبدون مؤثرات خارجية الى ان الافعال الانسانية مثبتة فى القرآن على انها مخلوقة بواسطة الاله، ومكتسبة عن طريق الانسان فى آن واحد • وفى الواقع فان الصيغة الاباضية تحتوى على الكثير من مضمون الحرية اكثر من الاشعرية حتى وان كانت افعال الانسان قد خلقها الله لكن الانسان يوجد له الاكتساب والذى يجعلنا مسؤولين بالجزاء والعقاب فى الحياة الآخرة • ان الجبر جرد من القيمة أوامر ونواهى الله سبحانه وتعالى ، انما ينطبق ذلك فقط على ارسال النبى وعلى التكليف، وعلى هذا فلم يكن على الاباضيين السير بحذر واحتياط الاشعرية والذى يشرح الحرية على انها علاقة الفوة مع تأثيرها داخل القوة، ومن غير أية مؤثرات لها•

ان الاكثر حداثة عند الاباضية فى رأيى هو الادخال على مبدأ الكسب عنصرا جديدا من الاختيار ، انها صيغة ملقحة بزيادة ما « الله يخلق افعال الانسان ، عند ما يختارها ويتحول تجاهها للحصول عليها » (ص 141) • هذا الاختيار ليس موجها نحو معنى واحد وضعه الله ، ولكنه انما هو القدرة على العمل أو عدم العمل فى ذات الوقت ، وهكذا يظهر الاكتساب فى تفسير السالمى وكانه موازن للاختيار • هذا يشرح لحظة المداولة ، ذلك انه فى الواقع ان السالمى ليس مضطرا للسير مراوغا لكى يرى اذا كان الفعل الانسانى يصدر عن معنى خاص ، أو عن معنى مجازى • ان الصيغة لا يمكن ان

تكون أكثر وضوحا « القدر حسنا كان أم سيئا انما هو من عند الله » . الذى خلق الخير والشر ، هو الذى يأمر به وهو الذى ينفذه ، والذى يجعله يحدث فى وقته المختار . ولكن فى نفس الوقت الفعل يأتى من الانسان ، والانسان هو الذى يفعل ، له ارادة وله اختيار ، وهو الذى يقدمه ، وفيه يتحرك ويتوقف ليس مضطرا ولا مجبرا ، ان القضاء والقدر لا يجب اخذهما على انهما قدر مسبق وكذلك فى وقوعه ، وانما هما لحظتان من الخلق (136 ـ 137) ان لله سبحانه معرفة الغيب ، وكذلك الارادة السابقة، الاولى ليست الا بندا من العلم الآلهى ، والثانية انما هى قدرة لما سوف يكون الاختيار الحر للمخلوقات . ان اللهلايمكن ان يكون جاهلا بما سيحدث ولا يمكن ان يكون مضطرا لتحمل ذلك من أجل من لم يعطه رضاه وقبوله . (انظر المصعبى ص 155) .

من أجل ذلك يضيف النص القرآنى : « **فلو شاء لهداكم أجمعين** » ان التفسير الذى يعطيه النص كالآتى : اذا كان الله قد رغب فى هدى الناس الى الصراط المستقيم، كان فى امكانه عمل ذلك وليس من الممكن القول بعجزه ، ولكن حكمته اقتضت اعطاء التخيير بين الصراط المستقيم وبين الضلال ، ولهذا اعطى الناس القدرة على اختيار أى الطريقين يرغبون.لا يوجد ـ بكل تأكيد ـ أى اجبار ولا اكراه .

بطريقة مشابهة يفسر لنا آيات أُخرى متشابهة ، ويختم السالمى: نعتقد بانه سبحانه هو خالق افعالنا ، ويعرفها ويريدها ، ومع كل ذلك فلقد منحنا الاختيار بين ما نرتكب وما نترك . أى انه لم يجبرنا على واحدة من الاثنين ، الذى يرغب ما يعتقد ، والذى يرغب أيضا وان كان بغير اعتقاد (ص 146) . بهذا ـ كما تستطيع ان ترى ـ ليس من حاجة الى تلك التقييدات الاشعرية التى تحمله على الاعتراف بان الانسان حر ظاهريا ومقيد فى الواقع . ان الذى لم يرغب فى قوله ان هذا المذهب يحرم التسليم بان القضاء والقدر انما هم من الاسرار الخفية ، ليس من المفيد محاولات جس النبض ، لان الله قد احتفظ بعلمه لنفسه .

اعتقد ان هذه هى النظرية الشائعة فى الاباضية ، نظرة المشرقيين يجب ان تكون متشابهة جدا ، لان عبد القاهر بن طاهر الجرجانى (الفرق ص 184 انظر الشهرستانى ص 101) . يثبت على الاباضيين المشرقيين « الحراتية » بانهم يمارسون حرية المشيئة .

قالوا فى باب القدر باثبات قول المعتزلة • من الواجب القيام بدراسة مستوعبة للنصوص المشرقية ، ولكن ما يستحق فعلا التصحيح هو ان تلك العقيدة كانت عامة عند جميع الاباضيين الغربيين كما أكد Sachau •

هكذا المصعبى بعد ان اثبت بصراحة « جوهرة اللقانى » وبعد ان كان قد حدد الكسب كوسيلة اتصال قوتنا العرضية مع الفعل بدون تعثير (ص 153) • ومع نشاط تبادلى بين القوة والفعل ، انتقل لشرح مذهب أهل « جبال نفوسة » والذى يحرم تماما حرية الاختيار عند الانسان • من بياناته يمكن ان نرى بوضوح بان موقفا ما من هذه المسألة بين أهل جبل نفوسة ، واباضية المغرب الاقصى ان النص هنا ايجابى جدا حين ينقل لنا : ان هؤلاء مفطورون مجبولون ، مطبوعون على عمل ما ارادهم الله لعمله قبل خلقهم • على ما قال ابن عباس « رضى الله عنه وعن ابيه » « ان المخلوقات تنجذب لعمل ما اقتضاه الله عليها ويمضون فى الاتجاه المحدد فى الكتاب المعلوم • لا يرغبون فى شيء آخر أكثر مما اراده الله لهم وليس لهم اختيار فى الافعال التى عنهم تتأتى ، ومن ضمنها يتضمن الكسب السابق ، ومع ذلك فليسوا مكرهين عليها • ان معنى التعبير « انهم مجبولون عليها » هو بانهم خلقوا ليعملوا ما قدره الله لعملهم قبل خلقهم وليس الى الحد الذى يصوره أهل الجبر ، بانهم مجبورون عليها ، وليس لهم أى تدخل حتى فى صيغة الاكتساب • الدليل على انهم مجبولون هو قول الرسول عليه الصلاة والسلام هذه القلوب جبلت على حب الخير ، وكراهية الشر أو كما قال : (ذلك الى جانب قول الحق سبحانه : ومن أراد الله) •

بعض زملائنا من اصحاب الاعتقاد الاباضى يقولون بان العبد له الاختيار فى افعاله، ولكن الرأى الافضل هو الاول ، وهو رأى شيخ الجبل بينما الثانى « الخاص بالاختيار » فهو رأى شيخ العرب •

والمسلمون لا يسمحون بان الله يكره العبد على أفعاله لانه كتب فى اللوح ما افترضه من ناحيته قبل بداية الخلق •

يضيف زملاؤنا بان أفعال العبيد لا توجد الا عندما تتوافر خمسة أشياء :

مشيئة الله ، ارادة واكتساب العبد ، المساعدة التى يمنحها الله لهذا العبد عندما يكون العمل عمل طاعة والتخلى عنه فى حالة عمل معصية والخلق من جانب الله للعمل نفسه من أجل العبد فى نفس لحظة العمل لا قبل ، ولا بعد • وان العبيد انما هم مقرونين ومصاغين على ذلك الذى قد عرفه الرب الحميد قبل خلقهم وقبل ان يأتى بهم الى الوجود ، وليسوا مجبورين ولا مختارين (160 ـ 161) • وتلخص كل هذه العقيدة تفسير هذه العبارات الثلاث : العبد ليس مجبرا على أى فعل ، على ما يقول أهل الجبر وليس « مختارا » كما يقول بعض من ائمتنا ولكنه يكون مصورا ومطبوعا من أجل أعماله (ص 162 ـ 163) •

هذا كل ما يقوله لنا المصعبى بالنسبة لاباضية « جبل نفوسة » وان كان رايه الشخصى مختلفا عنها ، لانه لم يكن موافقا لا على « الجبل » ولا على « الجبر » مدافعا عن الكسب والاختيار (ص 169) •

الورجلانى لم يتكلم عن المسألة فى « قناطير الخيرات » كتاب لمؤلف من القرن الثامن : أبو طاهر اسماعيل بن موسى الجيطالى • وان كان يفسر رأيه الشخصى ، الا انه تقريبا لم يقم بأكثر من نسخ فقرة « الاحياء » التى تصور الكسب الحلال لا اختيار صرف ولا جبر بحت ، (ج 1 ص 233) نفس المصدر ج 1 الكتاب الثانى الفصل الثالث ، الركن الثالث •

اختنتم ، قائلا : بانه فى ذلك الاقليم قد اقترن بنظرية حول الحرية الانسانية من كل جوانبها أصيلة ومختلفة عن الاشعرية • هناك نشاط متبادل فى أفعال الانسان • من هنا القول بان الافعال البشرية هى النتاج الحتمى لسبب مزدوج من الله ، ومن الانسان • لم يعد هناك أكثر من خطوة واحدة ، فى الكسب أو فى قبول الانسان للنشاط الالهى ، علاوة على تلك التى يكون الانسان غير قادر على عمل شىء هناك قدرة على الانتخاب او الاختيار تترك تماما المجال للحرية الانسانية انما مدرسة اخرى من المدارس الاسلامية حيث لا يعطى مجالا كثيرا للجبر كآخرين نتيجة خطأ يبنون اعتقادهم فى جوهر الاسلام •

أريد أن أنتهى من هذه المحاضرة ـ مسلطا الضوء على واحدة من معتقدات القبائل البربرية الاباضية ، والتى نقلها المؤرخون والجغرافيون من أهل الشمال الافريقى منذ القرن الحادى عشر الى القرن السادس عشر · فى نهاية الحياة كل الاباضيين سوف يجتمعون فى مكان ما لكى يتفرقوا من هناك الى « الجوجراف » تقريبا هو مكان سرى لانقاذ من عاش حتى ذلك الوقت محافظا على ايمانه · يقصد بذلك مكان ما فى الصحراء مزود تزويدا طيبا بكل الاحتياجات وبالماء · هذا الموطن فى نظر الكثيرين سيكون « ورجلة » ، ويوصف هذا الموضوع بالطريقة الآتية :

سكان المحلات فى « دارجين » منطقة « قنطرار » فى بلاد الجريد سينتقلون الى « سوف » · ومن فى « سوف » الى « اريجا » واهل « اريجا » الى « ورجلة » حيث يفترق الجميع معا الى « ججراف ».هذه المدونات الاخيرة هى آخر ما قرأته قبل اقلاعى الى هذا الاقليم الذى اطلق عليه الورجلانى اسم « موطن الرحيل » لا أعرف لماذا يخيل الى بان « ورجلة » بالنسبة لنا ، كل من يعتقد باننا قد تجمعنا هنا « ججراف » حقيقى ، نقطة لقاء ،منها سنخرج معا الى الله الذى ليس ببعيد ، طريق الى يوم الحساب ·

بالنسبة لنا ـ الذين يومنون ـ ليس يوما للاحزان ـ لكنه البداية لسعادتنا الحقيقية فى مواجهة اله سوف يجازينا على الخير الذى صنعناه بارادتنا ·

أشكركم والسلام عليكم ورحمة الله ·

المـــــرأة فى صـــدر الاســـــلام (*)

د . سيغـريد هونـكه
كاتبة فى تاريخ الاديان المقارن والحضارات
ـ بون ـ جمهورية المانيا الاتحادية



انطرق التى تؤدى الى اتحاد الجنسين والى حيـاة كاملة ينعم فيها الاثنان عديدة . وليس لاى سبيل من هذه السبل قيمة عالمية ، ولا الواحدة منها بالتى ترجح أو تفوق الاخرى . وكل واحدة منها ـ اذا كانت تؤدى الى تحقيق الـ «أنت» والـ «نحن» ـ تتعلق بارادة الله ، وصالحة لمن يبلغ بها كمال ذاته . فالعلاقات بين الرجل والمرأة جوهرها الكيان الخاص بكل طراز بشرى ، وهى وثيقة الارتباط بما لهذا الطراز البشرى أو ذاك مـن تجربة أو خبرة عن العالم ، والطبيعة ، والمصير ، والاله .

ان فهم مختلف الانواع البشرية ، وشتى المجموعات العرقية ، وعلاقاتها الاساسية بالله هو وحده الكفيل بتفسير طبيعة العلاقات بين الجنسين (الذكر والانثى) فى كل منها ، ووضعية المرأة فى مجتمعاتها . فليس القانون الاساسى الذى ترتكز عليه هذه العلاقات واحدا لدى البشر كلهم : اذ لا يساعد هذا القانون على بلوغ النظام وتحقيق الهناء والسعادة الا أولئك الذين شرعوه وسنوه ، ولو فرض هذا القانون على الجميع

(*) نص محاضرة القتها الدكتورة فى الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى فى ورجـلان (ورقلـــة)

لكان فى ذلك انتهاك لحرية الذين قد لا يرتضونه ، لان كل ضرب من ضروب الحكم المطلق انما هو ضرب من جنون الاستعلاء الذى يقود الى المجمر او الى غرفة الغاز ٠

ولقد بسطت هذه الافكار الاساسية عن الرجل والمرأة فى كتابى الذى عنوانه : « فى البدء كان الرجل والمرأة » وهو الكتاب الذى اهديته الى مواطنى الالمان ، عساهم يستطيعون ـ بعد ان تأسوا لمدة الف عام بالنموذج الاسرائيلى المسيحى عن المرأة ـ حواء الخاطئة ـ أن يكتشفوا فى نهاية الامر طبيعتهم الحقيقية ، وان يكفوا عن الانقياد الاعمى الى النماذج الاجنبية الواردة من الشرق أو من الغرب ، من الشمال أو من الجنوب ٠ وكذلك فليس فى نيتى أن أقدم لكم ـ أصدقائى العرب ـ مبدأ أوروبيا عن وضعية المرأة العربية الاسلامية فى مجتمعها ، ذلك لانه لا يمكن فى الواقع لرجال أى شعب أو نسائه أن يكونوا سعداء الا اذا عاشوا على مقتضى القانون الخاص بطبيعتهم.

حقا ان هناك نقطة مشتركة بين نساء العالم الاسلامى وبيننا نحن الاوروبيات اللاتى عانينا لمدة ألف عام النموذج الاجنبى المفروض من العهد القديم الاسرائلى ، وهو النموذج الذى تحررنا منه اليوم من اجل ان نتأسى بمثلنا القديمة ٠ وفعلا فان النساء فى الاسلام قد رضخن كذلك مدة تسعمئة سنة الى نموذج أجنبى لا يتفق أبدا مع أقوال الرسول محمد فى القرآن ، ولا مع تصوراته عن وضعية المرأة العربية فى عهده ٠ واسمحوا لى ان أذكركم هنا ببعض أقوال الرسول فى الرجل والمرأة من جهة ، وفى وضعية المرأة فى عهد ما قبل الاسلام وفى فجر الاسلام من جهة أخرى ٠

ان كل ما ورد من أقوال الرسول فى القرآن والحديث ليلح على مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة ، سواء أكان ذلك فى المجال الروحى والدينى أم فى المجال الانسانى والاجتماعى المحض ٠ وقد ألحت السورة الرابعة من سور القرآن على تساو فى الطبيعة بين الرجل والمرأة اللذين خلقا كلاهما « من نفس واحدة » ، ونجد الترابط الاخوى أمرا مطلوبا بين « المؤمنين والمؤمنات » فى السورة التاسعة ٠ وأوصى الرسول فى خطبة الوداع بحسن معاملة النساء ، وتتحدث السورة الثلاثون عن « المودة والرحمة » وعن الامن الذى يجده الرجال لدى النساء ٠ وفى السورة الثالثة تقرير للمساواة بين

الرجل والمرأة فى أجر العمل . وهناك عدة سور تلح على المساواة بين الرجل والمرأة فى مسؤولياتهما المتبادلة . بل وثمة شهادات أخرى تثبت المساواة بين الجنسين مما نادى به الرسول ، وجرى عليه العمل فى صدر الاسلام .

من ذلك ان شخصية النساء قد لعبت فى عهد الرسول دورا هاما وقائما بذاته . بدءا بالتى كانت زوجته الوحيدة لمدة أربع وعشرين سنة ، وأعنى بها خديجة أرملة التاجر الغنية التى مارست تجارة مستقلة وكانت أول من آمن برسالة محمد ، وشجعته على القيام بها والاضطلاع بأعبائها ، كما كانت له عونا على مغالبة ما كان يراود نفسه من شكوك .

لكن حصل تغير فى وضعية المرأة تحت تأثير اجنبى عقب الحدثين الآتيين : ففى القرنين التاسع والعاشر ، ساعد التزوج بالنساء الفارسيات فى قصر الخليفة ببغداد على التسرب المتزايد لنفوذ الفرس عن طريق الحجاب المفروض على المرأة . ووجود الحريم والخصيان على غرار بيزنطة المسيحية . وما كان فى البداية مقصورا على المكانة السامية لزوجات الخليفة وسيدات القصر سرعان ما اصبح « موضة » فى الاندية الانيقة ، واخيرا فى المدن والحواضر الاسلامية بينما ظلت النسوة فى البادية يعشن عيشة حرة ومحترمة . ولقد كان الخليفة القادر بالله المعروف بتزمته الشديد والذى يرجع حكمه الى حوالى سنة ألف هو المشرع لقوانين غاية فى الصرامة بشأن ارتداء المرأة ما يستر وجهها ، وبشأن حجبها فى الحريم . وبعد سنوات من ذلك ، منع خليفة مصر الحاكم منعا باتا كل النساء مهما كانت مكانتهن من مغادرة الحريم أو بيوتهن الا اذا كن مصحوبات أو محتجبات حتى العينين .

تلك كانت نتيجة الارثوذوكسية المزيفة الورع التى سادت فى ذلك العهد ، والتى كانت تحدوها روح معادية للمرأة لا علاقة لها بالعرب اطلاقا ، روح سبق أن سرت الى المسيحية قبل ذلك العهد بألف سنة عن طريق التوراة . انما انتشر هذا التمييز للمرأة تحت سيطرة الاتراك والمغول . ذلك التمييز الذى كان ولا يزال يفسر ـ خطأ ـ كما لو كان من تقاليد العرب القديمة المحترمة . وذلك كان ـ حسب ما أراده الرسول ـ النموذج العربى الخالص للمرأة ومكانتها فى الاسلام الى أن ذاعت الافكار الاجنبية

الواردة من الفرس وبيزنطة المسيحية ، والتى كان من نتائجها التفسير الضيق للقرآن واسمحوا لى أن أورد عليكم بهذا الصدد أمثلة مختلفة مأخوذة من التاريخ العربى ٠

لقد كنا ما نزال نستمع فى البلاط الاموى الى أقاصيص قديمة مثل القصة التالية : قصد الحارث بن عوف شيخ قبيلة بنى مرة القوى الشكيمة بلد أوس بن حارثة الشريف والعزيز فى قومه ليخطب احدى بناته الثلاث وقد رفضت البنتان الكبريان ـ وهما دميمتان ـ التزوج من هذا الرجل ، لكن باحثة صغراهن أجابت قائلة : « أنا ذات حسن وجمال ، وقد واعتدال ، وذات حسب ونسب ، ولى يد صناع ، فويل له اذا تجرأ على رفضى ! » فقال لها أبوها ، بارك الله فيك يا بنيتى !

وأمر باقامة العرس ، وبنصب خيمة كبيرة ، ولما تم له ذلك ، أمر بحمل العروس الى زوجها ٠ ولما هم الحارث بالاقتراب من باحثة أشارت اليه بأن لا يتحرك ٠ ماذا ! أأحتفل بعرسى هنا عند ابى ؟ ٠٠ أبدا لن يحدث ذلك ٠ عندئذ أمر الحارث برفع الخيام وحملها على الجمال وكان الرحيل ٠ ولما كان المساء أمر الحارث بحط الرحال ونصب الخيام ، لكنه لما هم بالاقتراب من زوجته الشابة أشارت اليه بأن لا يفعل. ماذا ! أتريد أن تعاملنى كجارية تشترى ، أو كأسيرة حرب تؤخذ غصبا ؟ والله لن تضمنى بين ذراعيك قبل أن يحتفل بعرسنا وسط القبيلة ، وقبل اقامة وليمة يدعى اليها أعضاء القبائل العربية كلها ٠

استأنفوا الرحيل حتى وصلوا الى قبيلة الحارث ٠ فدعا هذا الاخير عددا كبيرا من الضيوف ، وأمر بابل وأغنام فنحرت أو ذبحت لاقامة الوليمة ، وأقيمت الاعراس وفق رغبة باحثة ٠٠ وهم الحارث بالاقتراب من عروسه ، فأشارت اليه مرة اخرى بأن لا يفعل ٠ ماذا ! أتجد من الوقت ما يكفيك لمداعبة امرأة،وخارج البيت قبيلتان تتناحران ، وذبيان وعبس (قبيلة أمى) فى حرب طاحنة ؟ اذهب وعجل بالصلح بين القبيلتين المتنازعتين ، ثم عد الى زوجتك لتجدها فى انتظارك بقلب ملؤه الحب ! أسرع الحارث الى القبيلتين المتحاربتين منذ أربعين عاما ٠ وتوصل بعد جهد جهيد الى احلال السلام بينهما ٠ وبعد احصاء القتلى من الجانبين تعهد بتعويض القبيلة التى منيت بأكبر الخسائر وذلك بأن يهب لها ثلاثة آلاف ناقة فى ظرف ثلاثة أعوام ٠ ولما استتب السلام بفضل

كرم الحارث وسخائه ، عاد الى بيته وعليه هالة من المجد والفخار ، واستقبلته زوجته بصدر رحب ، وأنجبت له عددا كبيرا من البنين والبنات .

ويصمت القاص ، وتصدر من المستمعين آهات عميقة ، وعبارات « ما شاء الله » لتدل على ان القصة أصابت منهم الوتر الحساس . فالفتاة باحثة امرأة على وفاق ما يتمنون . وفعلا فان المرأة فى القرون الاولى للهجرة لعبت دورا كبيرا فى ميادين القتال ، وفى الحياة العمومية . وكانت خديجة وهى أرملة تاجر غنى ، والزوجة الاولى للرسول التى أنجبت له ستة أطفال امرأة تتمتع باستقلالها الذاتى كذلك ، وتخوض غمار الحياة العمومية . وكان لزوجة الرسول الثانية عائشة اثر كبير فى الحفاظ على السنة والحديث .

وما تزال المرأة الكريمة المحتد ، الواعية بقيمتها ومكانتها الذكية والجهادية تجسد نموذج الارستقراطية العربية . فعليها – كما يريد لها الرسول – ان تطلب العلم مثلها فى ذلك مثل الرجل . وقد رغب كثير من كبار رجال القضاء والتشريع فى أن تمارس النساء مهام القضاء . وهكذا شهدنا نساء ضليعات فى الفقه والقضاء يعقدن ندوات عامة فى المساجد ، ويشرحن القوانين ، ومن هؤلاء النسوة « أستاذة النساء القانونيات أو الفقيهات » أستاذة القانون العام الشهيرة . ذلك لان العالمة « حوحدة » الملقبة بمفخرة النساء ، قد أطبقت شهرتها العالم . فبعد أن درست على مختلف العلماء الفطاحل ، حصلت على اجازة بالتدريس وبرفع راية المعرفة عالية ، ولا جدال فى أن النساء الشواعر ما يزلن تماما كالعهد السابق ، ينافسن الشعراء من الرجال .

ويحفظ لنا التاريخ أسماء لنسوة عارفات بأصول الدين وبعلم الكلام والتصوف مثل رابعة البصرة والصوفيات ، فمثل هؤلاء النسوة العربيات لم يضطهدن ولم يستعبدن ابدا ، ولن يتعرضن للاضطهاد والاستعباد ما دامت الارستقراطية العربية قائمة .

فلقد كانت زوجات الامويين فى دمشق بل وحتى زوجات أوائل العباسيين فى بغداد ، و الخيزران أم هارون الرشيد الشهيرة ، وزوجته الذائعة الصيت زبيدة نساء نشيطات مستقلات فى الرأى ، وذوات تأثير ونفوذ . وكن – وهن محل تقدير

واعجاب ـ يتمتعن بالاحترام والتبجيل مما لم يشهد له الشرق نظيرا من الوجهة الرسمية ··· لكن اسبانيا العربية ستذهب الى أبعد من ذلك بكثير ·

فنساء الاندلس العربيات بالخصوص ، سواء أكن سيدات الطبقة الراقية ، أم مجرد فتيات بل وحتى الجوارى يذهلننا من حيث ما يتمتعن به من استقلال فى الرأى وثقة فى النفس ، وعلو الهمة ازاء الرجال · فهن يقمن بنشاط كبير فى الحياة الفكرية ، يؤلفن كتبا علمية ، ويتغنين بحبهن فى الاشعار ، وكل ذلك بما لا يقل ثقة وفطرة عن الرجال أنفسهم ·

واذا كانت النساء فى عهد ما قبل الاسلام ، ونحن نعرف أسماء ستين منهن ، ونتوفر على ديوان كامل لاحداهن يضاهين الرجال ، وينافسنهم قصب السبق ، فان للاندلس كذلك نصيبها من الشواعر الشهيرات وشاهدنا على ذلك هند الحسناء البارعة فى نظم الشعر ، وفى العزف على العود ، أو حفصة العبقرية التى ذاع صيتها عبر الاندلس بشعرها وبفصة غرامها المؤثرة للشاعر أبى جعفر ، أو الاميرة المتحمسة عمر القران أو تلك المغنية المتواضعة التى باحت فى احدى قصائدها دونما أى خجل فى حضرة عاشقها ـ وما هو الا المنصور ملك الاندلس ـ بهواها للوزير فلم تنج من غضب الملك المنافس الغيور والذى شعر باهانة الا بفضل سرعة بديهة وارتجال ·

ومن بين العديد من النجوم السواطع الصغيرة منها والكبيرة الاميرة ولادة التى قال فيها أحد العرب : « لقد كانت ولادة سيدة عصرها الاولى ، فهيئتها التى تنم عن ثقة بالنفس ، ورفضها الحجاب يشهدان بحدة طبعها · وكان ذلك أفضل وسيلة لاظهار محاسنها اللطيفة بما فيه جمال المحيا وحسن الطبع · وكانت دارها فى قرطبة منتدى لكبار رجالات العاصمة ، وبهوها حلبة يتناظر فيها فطاحل الشعر والنثر · وكانت النساء العالمات يلتفتن الى هذا البدر اللامع كنبراس فى ظلمة الليل · وكان كبار الشعراء والكتاب ينشدون التقرب منها ، وهى أمنية ليست عسيرة المنال · وهى تجمع الى ذلك طيشا،وتهورا عنيفين ، وروحا متوثبة جامحة ، وسخاء موروثا عن الآباء

والاجداد • وكانت اخلاقها نقية فاضلة رغم انطلاقها ـ سامحها الله ـ فى مغامرة جريئة للغـــاية » •

وعلى ضوء الكثير من النجوم اللوامع ازدهر شعر الغزل العربى فى الاندلس ، وما لبث أن اجتاز حدود الاندلس ليثير فى الغرب تأججا حقيقيا للافكار •

ان هذا التقدير الكبير للمرأة العربية هو وحده الكفيل بتفسير الشكل العربى الذى تتميز به قصائد واغانى الحب للشعراء الجوالين (تروبادور) الذين تـركوا فى الغرب عميق الاثر ، وغيروا العلاقات القائمة بين الرجل والمرأة فى أوروبا •

وكما سبق ان ذكرت فى مستهل عرضى ، فان علاقات كل كائن بشرى بالاله ذات ارتباط وثيق بتصوراته الخاصة عن العلاقات بين الرجل والمرأة•فكما ان المسلـم الذى يلهمه الاسلام الى التقى وعبادة الله يخضع لهذا الاله ، ويسلم نفسه لارادته فى طاعة وانقياد ، كذلك يسجد العاشق أمام محبوبته المقدسة ذات « السيادة » عليه ، وينصاع لرغباتها وطباعها ، وينقاد لاوامرها ابتغاء الفوز بمحبتها ، ورجاء الحظوة لديها • فهذا الشكل الغنائى للحب العربى قد ازدهر بصورة رائعة منذ العهود الاولى للاسلام ، ولكنه ازدهر أيضا أثناء خلافتى دمشق وبغداد • وقد وضعت احدى الطرائف النفيسة والرقيقة جدا لهذا الشعر الغنائى فى الازمنة القديمة « الحب العـذرى » الذى يستمد اسمه من قبيلة بنى عذرة حيث يقضى المرء نحبه حين يحب ـ على صعيد واحد مع الحب الافلاطونى لدى الاغريق • ان هذا الشكل من الحب الروحانى العربى الخالص ليعبر عن نفسه فى الحب الخاشع والخاضع الذى يحمله فى نفسه مشاعر البادية جميل لبثينة الجميلة • فحب جميل من القوة بحيث يهدم الزمان والمكان • ومع ذلك فأى كتمان وأى خشوع فى عبادة الكائن المتعذر الوصول اليه مع اليقين كذلك بأنه ما من حاجز أرضى حتى ولو كان الموت ذاته بقادر على تقويض هذا الاتحاد •

وعكس ذلك نجد الجو الذى يغمر الحب الذى يحمله ذلك الرجل صاحب الحـول والكبرياء شيخ قبيلة بنى مرة الحارث بن عوف لباحثة المزهوة بنفسها • فهذا الرجل نجده يخضع رغم صلابته لارادة المرأة التى يحب ، ولا تنفك هذه الاخيرة ، بدافع من

العجب والخيلاء ، تعرضه لامتحانات جديدة بقصد التأكد من استسلامه الكامل قبل أن تكاشفه أخيرا بحبها ٠

ومن البادية ينتقل هذا الحب الى عاصمة الخلافة :

« انى لك خادم وعبد وفى رضاك عنى كفاية ، لا مزيد عليه » ، بمثل هذه العبارات باح عباس بن الاحنف شاعر بلاط هارون الرشيد عام 800 بحبه لمعشوقته التى لا تحتل مثله الا منصبا ثانويا ٠

« واذا جاز لمخلوق أن يعبد لجماله ، فان ملكتى يجب أن تكون فى مستوى اله» ٠ ولتكن هذه المعشوقة جارية حقيرة ، فانه سيعبدها رغم ذلك ويخلص لها العبادة مهما كانت الحال سواء أوجد لديها القبول والرضى ، أم الاعراض والصدود ٠

وكما يخلص المؤمن العبادة لله يخلص العبادة والطاعة لمحبوبته أيضا ٠

« لقد جعل الحب منى عبدا لك ، ولن تكون لعبوديتى نهاية » فسلطة محبوبته عليه ن القوة بحيث لا يجد غير عبادته لها سبيلا ـ لتشريفه ورفع شأنه ٠

وقد ازدهرت ألوان الحب المنزه عن المادة والحسن فى الاندلس الى درجة أنها تشكل وحة متعددة الالوان ٠ « ان فكرة الخلق الالهى لتجمعنا معا » ٠ ومثل هذه الوحـدة نكفينى ٠ فانا لا أطلب عنها مزيدا ٠ ذلك ما جاء فى أحد اشعار ابن حزم (من حيث معناه) ثم ان الورع فى الحب تشريف للذى يخضع ٠ وكما يسجد المؤمن مثل العبـد أمام الله فى خضوع تام ، كذلك يتحايل العاشق العربى لبلوغ الحظوة لدى محبوبته بالاستسلام والطاعة التامين لها ٠

ومن اقوال ابن باجة فى هذا المعنى قوله :

« لئن كنت تجهلين أنى متفان فى عبادتك ،
مرينى بما تشتهين ، فستجديننى من المطيعين » ٠

ان عبادة المرأة العربية فى الاندلس قد أنتجت أجمل الازهار ، وأنفس الاشعار الغنائية العربية ٠ واستمر ذلك مدة طويلة ، بعد أن نكل الاتراك والمغول فى الشرق بالنخبة المثقفة ٠ ومن الاندلس ، استقرت هذه السنة العربية المحضة فى القصيدة

الغزلية وتقديس المرأة بأوروبا وخاصة فى فرنسا وألمانيا • وقد اتخذت هذه الافكار من الحب الذى يجعل من الرجل خادما مطيعا لنيل الحظوة لدى سيدته المقدسة قيمة تحريرية فى وقت كانت الكنيسة المسيحية تهين فيه المرأة البنت الخاطئة لحواء والتى أخضعها كزاهقى لسيطرة مولاها وسيدها •

وهكذا فقد ترك الشعر الغنائى العربى أعمق الاثر فى الفن لدى المجتمع الاوروبى، وفى العلاقات بين الرجل والمرأة فى الغرب بصورة أعم •

وما تزال هذه الآثار ماثلة اليوم كما وصفت ذلك طويلا فى كتابين لى هما : « شمس الله تسطع على الغرب » ، و « جمال على المعطف الامبراطورى » • فعسى أن تثبت لكم ـ أصدقائى العرب ـ هذه البصمات العميقة للحضارة العربية فى الغرب قوة ماضيكم المجيد ، وتشجعكم على اعادة النظر فيه اليوم حيث يتعين عليكم ايجاد السبيل الذى تسيرون عليه لتحديد مكانة المرأة العربية فى المجتمع بصورة خاصة •

فلا تستلهموا مسعاكم من النماذج الاجنبية ، ولا من المعايير السائدة فى امريكا وفى روسيا • واستوحوه من طبيعتكم الخاصة ومن تاريخكم ودينكم •

ولقد لاحظت باهتمام بالغ فى كل مكان أثناء تجوالى بالبلاد العربية مدى الجهود المبذولة لتحسين وضعية المرأة على أساس عربى صميم • وهنا فى الجزائر بالذات طالب « الميثاق الوطنى » « بتحرير المرأة وبمساهمتها الكاملة فى حياة الامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية » وبضرورة « تحرير المرأة من بقايا ورواسب هى من طبيعة اقطاعية ، وبضمان حقوقها ••• » •

وما تزال لدى بعض كلمات : « ان تحرير المرأة لا يمكن فى الجزئيات الخارجية ، فى طول الفستان او عمق مقورته (كشف الرقبة والكتفين وجزء من الصدر) ولن يكتسب كذلك عن طريق ما يسمى « بحرب الجنسين » كما تدعونا اليه بعض مناصرات النزعة الداعية الى تحسين وضعية المرأة اللائى لن يكون من نتائج عملهن هذا الا زيادة تعميق الهوة التى حفرها نظام الابوة السائد فى القرون الماضية • وبعكس ذلك ، فان الذى يجب هو أن يكون الرجال والنساء واعين بطابعهم المميز ، وان تتضافر جهودهم للعمل سويا • بيد أنى أود أن أذكر أصدقائى العرب الذكور بأن عليهم الا ينسوا أبدا ان فتيات ونساء اليوم سيكن أمهات الامة العربية الكبرى غدا •

المرأة التركية الوارثة للتقاليد الوطنية والاسلامية (*)

د٠ آمال ايزين
عضوة معهد البحوث الثقافية
التركية ـ أسطنبول



1 ـ المرأة التركية قبل الاسلام :

ان « حواء » التركية وريثة تقاليد وطنية ذات طابع ملحمى نشا فى المناخ الشمالى لآسيا العليا ٠ وتكشف مدافن الاتراك القدامى (1) بسيبريا (2) فى الالف الاول قبل المسيح عن قبور للنساء توجد فيها أسلحة ٠ ولم تكن حياة النساء فى النجود العليا وغابات منطقة « اورازية » الشمالية لتتميز او تختلف عن حياة الرجل. فالمرأة التركية لذلك العهد ، اذ تتعاطى الصيد وتمارس الحرب والقتال ، ترتدى من الملابس ما يرتديه قرينها الرجل ٠ وربما تميزت قبور النساء عن رموس الرجال بنوع من الايثار البين لحلى من الذهب أو البرونز ، ومرصعات من جواهر وتحف فنية من تلك التحف الفنية المعروف بها السكان الرحل بآسية العليا وقد تكون هذه الحلى والاكاليل فى بعض الاحيان جزءا من الملابس المزركشة التى ترتديها كاهنات ديانات احيائية (3) ٠ وربما كانت زرابى واغطية الخيام ، والملابس المتخذة من لبدات متعددة الالوان أو المنسوجة والمطرزة من صنع النساء ٠ وهى تحمل رسوما من نمط ميثولوجى ورمزى ٠

(*) محاضرة القيت فى الملتقى 11 للفكر الاسلامى بمدينة ورجلان (ورقلة)

ومع تسخير الحصان أصبحت المرأة التركية فارسة تمارس ركوب الخيل ٠ وقد كان لخاتون (ملكة) الاتراك الاوغوريين حاشية من سبع نساء يحملن أقواسا ويمتطين الخيل (4) ٠ وعلى شاطىء نهر الاورال قبر يضم امرأة دفينة وهى على صهوة جوادها ، وينسب هذا القبر الذى يرجع عهده الى ما بين القرنين السادس والثامن الى الاتراك « الاوغوز » الذين ينحدر منهم سكان تركيا ٠ وربما كان ذلك من ضروب التكريم لامرأة محاربة (5) ٠ وقد أورد « ديد كوركت » (6) أن بطلة تدعى « تشيتشيك » (الزهرة) كانت تنصب خيمتها الحمراء القانية فى احدى المروج التى كانت تعتبرها بمثابة مزرعة صيد خاصة بها محظورة على الدخلاء ٠ ولم تكن تمنح ثقتها أو وفاءها الا لمن يستطيع الانتصار عليها فى المصارعة ٠ وكانت ثقة المرأة التركية ثقة كاملة ، لانها امرأة طاهرة الذيل الى حد بعيد جدا كما شهد بذلك الرحالة العربى ابن فضلان (7) (309/922 م) . ولم يكن الزنـا عند الاتراك معروفا على وجه التقريب ، لان الرجل الذى تثبت عليه تهمة الزنـا يعاقب بتمزيق جسده ٠ والمرأة التركية كانت ، اذا مـــا ترملت ، تحولت الى رئيسة البيت ، أو الى « تركن » (8) (وصية) فى صورة ما اذا كان ولدها أميرا من الامراء ، وكانت الرغبة الاكيدة للمرأة التركية تتمثل فى تربية ابنها تربية الابطال (9) كما هو الحال بالنسبة الى « شامانيه » تركية من مقاطعة « الجيهول » (الشامانية ديانة يعبد أتباعها الطبيعة) ٠

وبتأسيس « كاغاناط قوق التورك » المتبوع بدولة الويغوريين ابتداء من القـرن السادس ، برز الى الوجود تركستان (بلد الاتراك) المتحضرين فى آسيا الوسطى (10) ونمت المدن حول « أوردو » (11) (قصور الامراء) ٠ وفى هذه الاوساط الحضرية كذلك تقرر اقامة ايالة الخاتون (الملكة) ٠ وهذه الخاتون متوجة (12) ومعتبرة ذات سلطات الهية (13) تماما كالامير ٠ وفى سنوات 624/49 أسند أحد ملوك اليوغور ، الذى كان غالبا ما يخوض الحروب ، ادارة الدولة الى أمه (14) ٠ وكانت الخاتون قـد اشتهرت بالعدل الا انها كانت صارمة ٠ وكانت صور الملكات أو الوصيات تضرب أحيانا على النقود التركية (15) ٠

وفى مظهر السلطنة هذه ، عرف العرب تركيا للمرة الاولى فى شخص « قاباتش خاتون » الوصية على مقاطعة بخارى فى القرن الثامن الميلادى (16) · وقد جاء فيما نقله « النرشخى » مؤرخ بخارى أن الخاتون تظهر بمظهر البطولة والشجاعة ، وبمظهر مرونة الفكر ، كما تبدو جذابة فى اغلب الاحيــان · وقد عرفت كيف تكسب صـداقة قتيبة بن مسلم الذى غدا المدافع عن ابن الخاتون الاصغر ضد ادعاءات الامراء المنافسين.

2 ـ المرأة المسلمة فى فجر الاسلام :

لقد أقام الاسلام أول عقد اجتماعى تحددت فيه حقوق المرأة · وكانت المرأة فى الحضارات المتوسطية مثل اليونان وروما تابعة لرئيس الاسرة (أو لرب العائلة) · وكانت المرأة فى بلاد العرب جزءا من ميراث الرجل الذى يتصرف فيها كما يشاء ، ويتركها مع بقية أملاكه للورثة والخلفاء بعده (17) · وقلة الاهتمام بالمرأة نجده معبرا عنه أحسن تعبير فى الآية القرآنية التالية :

« **واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ؟** » · (القرآن ـ السورة 16 الآيتان 58 ـ 59) ·

ولاول مرة فى عالم البحر الابيض المتوسط ، وربما فى العالم اجمع ايضا ، يحدد الاسلام للمرأة حقوقا نحددها ملخصة فى الآية القرآنية الآتية : « **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف** » · (القرآن ، السورة 2 ، الآية 228) ·

والرجل الذى تجب عليه اعالة المرأة طيلة زواجه منها ، وفى حالة تطليقه لها (18) انما يتمتع بدرجة واحدة فقط من التفوق (19) ·

« **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم** » (القرآن ، السورة 4 الآية 34) ·

بيد أن المرأة التى تعمل والتى تترتب عليها لذلك واجبات ، لها الحق فيما تكسبه تماما كالرجل :

« للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن » . (القرآن ، السورة 4 ، الآية 32) .

وهناك ثورة أخرى فى المجتمعات المتوسطية تتمثل فى ان الاسلام منح المرأة حق التصرف فى نفسها (20) وفى مالها (21) .

وكانت المسلمات الاول يساهمن بنشاط فى الحياة الاجتماعية . فلقد كن فى زمن الحرب يدخلن ساحة القتال لمعالجة الجرحى وسقيهم (22) بل وكان منهن من يشاركن فى القتال مثل « نصيبة بنت عمرو » التى أصيبت فى غزوة أحد بثمانية عشر جرحا حين كانت تدافع مع زوجها وأبنائها عن الرسول (صلعم) الذى هاجمته قريش المنتصرة (23).

ولم يكن الحجاب بالنسبة الى هؤلاء النسوة الا رمزا وحصنا لشرف المرأة المسلمة فقد كانت المرأة المسلمة التى كانت تعرف وسط حرية الاخلاق التى كانت سائدة فى بلاد العرب الوثنية ـ بردائها الذى كان يسترها وبالخمار الذى كانت تحتجب به ـ تتمتع بحماية اخوتها فى الدين من كل ما يزعجها (24) او يؤذيها .

3 ـ المرأة التركية المسلمة :

تدل دراسة تاريخ الثقافة التركية على أن المرأة التركية ظلت فى الواقع تتمتع بالحقوق التى كانت تتمتع بها من قبل . لكن ضمن اطار الاحتشام الذى أوصى به الاسلام فى ممارسة الحقوق الممنوحة للمرأة . وما كانت أعراف الاحتشام هذه أو الرصانة ، ومنها الخمار ، سوى أعراف شكلية لا تمنع المرأة من المشاركة فى الحياة النشيطة ولا من تنمية مواهبها . بل ان النساء الموهوبات كن ـ على العكس ـ يشجعن فى المجتمعات الاسلامية على تلقى العلم والمعرفة من أفواه مشاهير العلماء فى الوسط الذى يعشن فيه . واذا ما فحصنا بعض المعطيات الممتدة على ما يزيد عن ألف عام من تاريخ الاسلام التركى ، اكتشفنا بعض أنماط من نساء مسلمات هن من أصل تركى .

أ) ـ ان النساء التركيات اللائى وهبن أنفسهن لدراسة القرآن والحديث والفقه الاسلامى واللائى برزن فى هذه الميادين عددهن قليل . غير ان قاموس التراجم الذى

ألفه محمد زهنى التركى الذى كتب مؤلفا عن شهيرات النساء فى الاسلام (25) قد ذكر بعضهن :

فتذكار باى خاتون المتوفاة فى (714 هـ/1349 م) وابنة السلطان المملوكى التركى « بيبرس » (76 ـ 658/1252/77) المتضلعة فى العلوم الاسلامية قد أسست بمصر رباطا لتعليم النساء المسلمات • وآى مليك خاتون البعلبكية التى يدل اسمها آى القمر على أصلها التركى كانت محدثة عالمة بالسنة النبوية • وقد توفيت فى 815 هـ/1412 م ، وصدقى أمة الله القاضى ابنة أحد قضاة اسطنبول قد ألفت كتبا فى اصول الدين • وقد توفيت فى 1089/1678 م ، وآنى فاطمة الخاتون التى انحدرت من المؤرخ سعد الدين أفندى والتى كانت تعتبر عضوا فى مجمع أو هيئة العلماء • وكانت تعمل قاضبة ومدرسة حتى وافتها المنية فى 1123 هـ/1711 م • وفى القرن ذاته عاشت فى اسطنبول زبيدة القسطنطينية الشهيرة المعروفة بكتبها فى الشريعة الاسلامية وبنبوغها فى الشعر • ومع أن مثل هذه الشخصيات قليلة الوجود فان النساء الحافظات قد ظللن يحفظن القرآن فى تركيا وفى مدارس خاصة تتبع أساليب التلقين والتدريس التقليدية قراءة واستظهارا •

ب) ـ يسجل التاريخ أن عددا من النساء توصلن اما بفضل انتسابهن الى أسرة مالكة أو بالنظر الى نبوغهن الشخصى ، الى القيام بنشاطات سياسية وكانت «الخاتونات» (المليكات) فى فجر الاسلام ما يزلن يمارسن مهام الامارة • ومن وجوه هؤلاء الخواتن أو المليكات البارزات المعروفات بلطفهن زوجة داود بن عباس بانيجور (ولعله باى تشور) (58 ـ 233 هـ/71 ـ 847 م) التى تنتمى الى أسرة مالكة تركية كانت تحكم موطنها الخوطال وطوخاريستان باسم الخلفاء العباسيين (26) • وكانت زوجة باى تشور تحكم ضمنيا مقاطعات زوجها لان هذا الاخير قد انجر الى بناء قصر منيف (27) • ولكى تخفف الخاتون من وطأة الرسوم المترتبة على الفقراء للخلفاء العباسيين بعثت بعباءتها المرصعة بالجواهر الى الخليفة ، الا أن هذا الاخير اعترافا منه واعجابا بهذا السخاء ـ أعاد العباءة الى الخاتون التى باعتها من أجل أن تشيد بثمنها مسجد وقنوات بلخ (28) •

واستمرت الخواتن اللائى كن يحكمن بلدانا لغير الاتراك بالشرق الادنى فى المحافظة على امتيازاتهن (29) • بل ولقد كان بعض هؤلاء الاميرات عمـــلا بالتقاليد التركية ، ذوات اقطاعات ودواوين وحتى جيوش كن يستعملنها على العموم لصالح أزواجهن • وكذلك فعلت « آلتوراجان خاتـــون » زوجة « طوغريل بـــك » (55 ـ 429 هـ/63 ـ 1037 م) مؤسس الدولة السلجوقية فى الشرق الادنى • وبعض هؤلاء الاميرات شعرن بامتعاض ربما كان السبب فيه يعود الى نوع من التعارض بين وضعيتهن التقليديـة كخاتون وبين عادات البلاد الاجنبية التى كن يعشن فيها • وكانت التقـاليد الايرانية ـ كما لاحظ ذلك نظام الملك (30) الوزير الايرانى للملك التركى السلجوقى ملك شاه (85 ـ 665 هـ/92 ـ 1072 م) تقصى النساء عن السلطة ، بينما كان الملوك الاتراك يصغون الى آراء الخواتن • وكانت زوجة ملك شاه (31) أميرة كاراخانية ربما انحدرت من كاغانيى قوق تورك • ولاعتزاز هذه الخاتون بأصلها ، واعتبارها مكانتها كوصية عربونا على حقوقها قد أحنقتها معارضة نظام الملك الذى يبدو وكانها الآمرة باغتياله • بل وتتهم بالتآمر مع صهرها الخليفة المقتدى بالله على تسميم الملك شاه • وقـــد خاضت حملة ضد صهرها « برقياروق » سعيا منها الى تتويج ابنها البالغ من العمر خمس سنوات ، وتولى حفيدها الخلافة ، الا انها هزمت •

ان قائمة الملكات الوصيات او الملكات الامهات من التركيات ذوات التاثير والنفوذ قائمة طويلة نكتفى منها بهذه الامثلة وبأسماء أخرى قد أثبتها فى التعليق (32) •

ج) وكان هناك مجموعة أخرى من النساء ذوات النفوذ السياسى فى أوساط بلاطات الامراء الاتراك • ومن بينهن بيبى المنجمة (33) النيسابورية الاصل التى انتقلت من خدمة آخر الملوك الخوارزميين الاتراك جـــلال الدين منجوبـــردى (617•28 هـ 30 ـ 1220 م) الى خدمة ملك تركيا السلجوقى علاء الـدين قيقباد الاول (34 ـ612هـ 36 ـ 1215 م) • وما لبث ابن المنجمة الذى سمى باسم « ابن بيبى » أن أصبح مؤرخ سلاجقة تركيا •

ويعدد زيهنى (34) بعض النساء المستشارات اللائى نصح بهن أمهات السلاطين العثمانيين أبناءهن لمساعدتهم على ادارة شؤون الدولـــة • وأشهر هؤلاء النســـوة

المستشارات هى جنفدة الخاتون التى كانت أحد الوزراء الاربعة الذين يجتمعون فى مجلس مراد الثالث (982 ـ 1004هـ/1574 ـ 95 م) ولم تكن جنفدة تتسامح عن التجاوزات ، وقد سجنت ثم أعدمت أخاها دالى ابراهيم باشا لاخلاله بواجباته • ويورد زينهى كذلك راضية الخاتون مستشارة محمـد الثالث 12 ـ 1005 هـ/1605 ـ 1594 م) وهناك مستشارتان أخريان للسلاطين العثمانيين : شاكر بار خاتون» التى كانت فى خدمة « محمد الرابع » قد اتهمتا بالفساد والرشوة فى تعيينات الموظفين الى مناصب الامبراطورية ، وقد نفيت احداهما وصودرت أملاكها ، نما شنقت الثالثة وكان ذلك على التوالى فى (1058 هـ/1648 م) وفى (1066 هـ 1655 م) .

د) لقد أنجبت الحضارة العثمانية عددا من النساء الشواعر (35) . وقد شهدن النور ، على الغالب فى أوساط العلم ، ومنهن من كن بنات لشيخ الاسلام . بيد أن هؤلاء السيدات كن منساقات فى بعض الاحيان الى الاباحية التى يسوغها الشعر •

وكان للقديمات منهن شرف ورود أسمائهن فى منتخبات الشعراء «تذكرة الشعراء» لعاشق شلبى (76 ـ 924/68 ـ 1518 م) : وهما شاعرتا القرن الخامس عشر : مهرى و زينب وقد ولدت الاخيرة فى أماسيا أو فى قسطمونى ، وفى القرن السادس عشر، نجد الشاعرة توتى القاضى (وتوتى معناه الببغاء) وكان زوجها الشاعر الشهير باقى يشبهها بالغراب ، ربما لحسد منه . وقد ردت عليه الشاعرة بأبيات من الشعر الهجائى كانت فيها دمامة باقى موضع سخرية . وفى هذا القرن ذاته كانت مطارحة الشاعرة اللامعة حبى خاتون طلبة سلطانين متواليين : سليم الثانى (82 ـ 974 هـ/74 ـ 1566 م) و مراد الثالث (1004 ـ 95/9082 ـ 1574 م) وكانت الشاعرة فتنة هانم ابرز شاعرة باسطنبول فيما بين القرنين الثانى عشر والثامن عشر • ومن بين عدد كبير من الشواعر النابغات برزت شاعرتان تحمل كل منهما اسم «ليلى » وذلك فيما بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر •

ولنذكر كذلك امرأتين خطاطتين (36) هما : عصمت ابريت من اسطنبول و فتنة طرابزن وقد عاشتا فيما بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر .

بيد أن الغالبية العظمى من النساء التركيات المسلمات اللواتى ليست لهن موهبة خارقة قد ظللن يعشن عيشة الجد والاخلاص كربات اسرة تنشد « الجنة تحت اقدامهن » كما جاء فى حديث نبوى ، فلقد كانت الفلاحة التركية ـ ولا تزال ـ تعمل الى يومنا هذا فى الحقول الى جانب زوجها الذى تخلفه فى جميع الميادين حين يدعو هذا الاخير واجب التجنيد . وقد ظلت تنسج الزرابى والمفروشات ذات الرموز التقليدية ، وتطرز الاشكال البندالية (ذات الالف غصن) . ولم تكن التقاليد الحربية للمرأة التركية نسيا منسيا بعد الاسلام .

ففى القرن 15 كان فى خدمة مملكة ذى القادرى التركية (885 ـ 780 هـ 1470 ـ 1378 م) فيلق من الخيالة فى « مرعش » يتألف من ثلاثين الف امرأة (38)٠ وهناك تركيات أخريات لا يتدخلن فى النزاعات المسلحة الا فى حالة الاستعجال . فمشاعر الاخلاص فى الدفاع عن الوطن كانت بحيث تدفع الام التركية حين تأخذ رضيعها بين ذراعيها الى أن تقول : « بسم الله ، يا غازى ، يا شهيد » ٠

لقد كانت حاسة الشرف لدى المرأة التركيه بحيث تؤثر الموت على حياة الاسر وما يتبعها من اهانات واذلال ٠ فحين نشوب معركة « يليفن » فى عام 1878 ، وبينما كان الجيش التركى المحاصر منذ . بعة شهور يحاول اقتحام صفوف الاعداء ، كان النساء والاطفال يلحون على اتباع الجيش فى هذه المحاولة اليائسة ، مما أدى الى سقوط عدد منهم بقنابل مدفعية العدو (39) ٠ وكانت جدتى « زينتى هانم » مع زوجها من بين المحاصرين فى يليفن ولما كان زوجها قد سقط فى ساحة المعركة ، أخذت «زينتى هانم» أطفالها الصغار ، واستطاعت ان تنجو بهم عبر خطوط العدو دون أن يتفطن اليها أحد ٠

واضطرت الى أن تقطع المسافة راجلة وهى تحمل أولادها حتى مدينة اسطنبول حيث لفظت أنفاسها من شدة التعب ليلة وصولها بالذات ٠ وأثناء توالى الحروب الدفاعية التى وضعت حدا فى القرن التاسع عشر ثم فى حرب 1918/1914 وحرب 1923/1920 للامبراطورية العثمانية وتمخضت عن ميلاد الجمهورية التركية كانت المرأة

تحل تدريجيا حتى فى اطارات خدمة الدولة محل الرجال المجندين · والمرأة التركية تشارك تماما كمثيلاتها « نين هاتون ايرزوروم » ورفيقاتها اللائى ساعدن الجيش التركى فى عام 1878 على صد العدو (40) فى الدفاع عن حوزة الوطن ، وقد سقط عدد كبير من النساء فى ساحة المعركة أثناء الدفاع عن ايرزوروم · وفى حرب 1420/1923 قدمت النساء يد المساعدة فى نقل السلاح الى جبهات القتال · ويذكر شاهد عيان أنه رأى امرأة كانت تنقل السلاح فى يوم مطير فنزعت الغطاء عن طفل لها كان بين ذراعيهـا لتغطى به ولتصون القنابل من البلل (41) · وهكذا تكون المرأة ـ كما قال مصطفى كمال أتاتورك ـ جديرة بالمساواة فى الحقوق التى منحتها اياها قوانين الجمهورية التركيـــة ·

تعليقـــــات

1 ـ لقد كانت القبائل التى يدعوها الصينيون والكيرغيزيون تنغ لنغ و تياه لى من بين أعرق القبائل الناطقة باللغة التركية : ج· كلوزون ، تورك منغول تانغوس آسياماجور ، ن· س· 8/1 لندن 1960 ·

2 ـ القبور السيبيرية التى يرجع عهدها الى الالف الاول قبل المسيح المنسوبـة الى تنغ لنغ وكيزغيز : س· ب· كيسليف دريفنيايا ايستوريا يوجنوبى سيبــيرى ، ماتيريال واسليدوفانيا بو اركيولوجى الاتحـاد السوفياتى ، رقم 9 (موسكـو 1949) 112/27 ـ 167 ·

3 ـ ن· ب· محمدوف اسكوستفو كازاخستان (موسكو 1970) ، 14 · (قبر كرغليك المنسوب الى شامانية هنية) ·

4 ـ ك· ماكيراس ذو ايغور أومبير (كامبيرا 1968 ، 121) ·

5 ـ مدفن خودا برجين رقم 1 : ب · سميرنوف ، كول تورا دريفنيسك بليمن برياراليا و زاياد نوى سيبيرى ماتيريال وايسليدوفانيا بو أركيولوجى الاتحاد السوفياتى ، رقم 585 موسكو 1957 ـ 45 دفن مقاتل لدى الاتراك فيما بين القرنين السادس والثامن

عشر : ليو ماو تساى ، دى سينيزيسشن ناشريستن زور جيشيت دير أوست تـوركن (ويسبادى 1958) ، 42 .

6 ـ م. اميرجن ، ديد كوركت كتابى (أنقرة 1958) I ، I2I ـ 23 .

7 ـ ز . ف . طوقان ، ابن فضلان رايسبريشت ، (ليبزيق 1939) ، 2I .

8 ـ توركن : أ. توران . « توركن انفاني » تورك هوكـــوك تاريخي درجيزى I (أنقرة 1944) . يراجـــع أيضا : ج ، ديرفـــر توركيتش ومنغوليش ، ايلمانتى فى نويرسيتشن ، المجلد 2 . (ويسبادى 1965 المادة 889 .

9 ـ I. ج. بوليبلانك ، ذو باكغروند أوف دو ريبليون أوف أن لوشان . (أوكسفورد 1966) 7 ـ 8 .

I0 ـ لفظة تركستان المستعملة منذ القرن السابع : و . بارتولد « تركستان الموسوعة الاسلامية (ليدن 1934) . مراكز الحضارة فى تركستان أ . ايزين . « اسلاميتن ايفيل أورتا آسيا تورك ريسم ساناتى » تورك كورك كولتورو الكتاب ، ونشر فى الانكليزية كذلك (سانترال آزيان توركيش بانتينغ بيفور اسلام هاندبوك أوف توركيش كولتور) I/2 فى (اسطنبول 1972) تعليقات I00 ـ I23 .

II ـ آ. ايزين « أوردوغ » أنقرة اينفير سيتيزى ديل تاريخ كوغرافيا فاكولتيزى تاريخارا ستيرمالارى ديرجيزى ، I0/6 ـ II (أنقرة 1972) .

I2 ـ ماكيراس ، II7 .

I3 ـ بيلج كاغان ملك قوق تورك ، الذى توفى فى 734 ، وقد قال : « ان اله السماء قد رفع أبى ايلتيريش كاغان ، وأمى ايلبيلج هاتون ، وذلك بأخذهما من أم راسهما » : ن. أوركوم تورك يازيتلارى (اسطنبول 1936 ـ 4I) I ـ 34 ـ II ـ د ـ I0 ـ II .

I4 ـ أ. شافانس ، وثائق حول الاتراك الغربيين . (سانت بيترسبورغ 1903) 90 .

I5 ـ أنظر ايزين فى التعليق I0 المصادر المذكورة فى تعاليق I2 و I06 .

I6 ـ الطبرى . تاريخ الرسل والملوك (ليدن . I879 ـ I88I) 2 . I69 النرشخى تاريخ بخارى (باريس I892) 7 ـ I0 ـ 36 . 47 .

I7 ـ انظر : القرآن الكريم (السورة الرابعة ، الآية 22)التى تحرم الـــزواج من النساء اللائى يتركهن الاب ميراثا ، القرآن (السورة الرابعة ، الآية I9 حول تحريم اجبار النساء على التزوج من ورثة أزواجهن) .

18 ـ الآيات التى تتعلق بالمهر المدفوع الى المرأة · القرآن (السورة 2 الآية 229) و (السورة الرابعة ، الآية الرابعة بشأن تمتيع المطلقات) · « وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين » · القرآن (السورة الثانية ، الاية 241) ·

19 ـ القرآن (السورة الثانية ، الآية 228) ·

20 ـ الحديث : « لا تنكح الايم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن » · البخارى : تجريد الصريح طبعة ز· أ· زبيدى و· د· ميراس ديانة اسليرى نيسرياتى · رقم 9 · المجلد II (اسطنبول 1947) الحديث 1806 ·

21 ـ المرأة ترث · القرآن : (السورة الرابعة ، الآية السابعة) · وتتصرف فى مالها كما تشاء · القرآن : (السورة الثانية ،الآية 229) ·

22 ـ الواقدى ـ كتاب المغازى ـ (لندن 1966) 268 ـ 72 ، 685 ـ 687 ·

23 ـ الواقدى ، 268 ـ 72 ·

24 ـ ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ المجلد الثامن (بيروت 1377 هـ) · 7 ـ 76 حول الظروف التى أمرت فيها المسلمات بالحجاب · القرآن : (السورة 23 ، الآية 59) · وبعدم التزوج وكشف زينتهن الا ما ظهر منها · القرآن (السورة 23 ، الآية 59) و (السورة 24 ، الآية 31) ·

25 ـ محمد زهنى ـ مشاهير النساء ـ اسطنبول 1394/95 هـ · I ـ 126 ـ 2 ـ 392 193 ؛ I ـ 35 ؛ I ـ 15، 2 ـ 264 ·

26 ـ أنطر : و· بارتولد ، تركستان دوون تو ذو مونغول انغازيون (لندن 1928) 73 205 و ج · ماركات ، ايرانساهر (برلين 1901) ، 299 ـ 303 ·

27 ـ أبو بكر عبد الله البلخى ـ فضائل بلخ ـ (طهران 1350 هـ)20 ، 21 ، 39 ، 40·

28 ـ نفس المصدر ·

29 ـ أ· توران ـ تورك سيهان حاكيميتى ـ (اسطنبول 1969) 126 ـ 129 ، هـذا المؤلف الذى كتب أيضا المقالة المذكورة فى التعليق 8 · حيث كان أول من حدد لفظة « توركن » ، وخصص فصلا فى الكتاب المذكور هنا للتراكنة ·

30 ـ أورده توران ـ تورك سيهان حاكيميتى ـ 126 ـ 27 ·

31 ـ أ٠ توران ـ سلجوك لولار ـ تاريخ فى تورك ـ اسلام ميدينيتى ـ (أنقرة 1965) ، 106 ـ 107 ـ 156 ـ 60 ، 163 ـ 64 ، 192 ـ 376 (توركن خاتون بنت قاراخانيد ابراهيم تامغاتش خان كانت قد تزوجت من السلجوقى ملك شاه فى 458 هـ/1065 م ٠ وتزوجت ابنتها « ماه ملك » فى 480 هـ/1087 م ٠ الخليفة المقتدر بالله ٠ وقد هزم جيش التركن فى الرى فى سنة 488 هـ/1095 م ٠ على يد جيش صهره « بيركياروجى » بن ملك شاه من زوجة له سابقة) ٠

32 ـ من بين التركمانيات الاخريات تركيات آسيا الوسطى للعهد الاسلامى ٠ أنظر : بارتولد ـ تركستان دوون طو ذو مونغول انغازيون ـ الفهرس ٠ ومن بينهن توركن أم التركى الخوارزمى ، علاء الدين محمد ب٠ توكيش (596 ـ 617 هـ/1199 ـ 1220 م) ، ويذكر محمد زيهنى أيضا (2 ـ 211 ، 1 ، 233 ؛ 330 ، 126 ـ 27 ؛ 2 ، 71 ، 202 ، بنات وزوجات وأمهات للامراء الاتراك ، أو أميرات تركيات متزوجات لملوك غير أتراك كن يحكمن باسمهن أو بالنيابة عن أزواجهن وأبنائهن وهن : مرد خاتون زوجة الاتابغ تورك الدمشقى ، و « بورى » بنت «توغتيجن » (522 ـ 520 هـ) و «راضيــة» بنت المملوك التركى من دلهى « ايلتوتيش » التى كانت ملكة دلهـــى فى 630 ـ 633 هـ ، و « ساجار أود در » الزوجة التركية للايوبى الصالح نجم الدين أيوب التى كانت ملكة مصر فى 647 هـ ، و « أكويولو أوزون حسن » (857 ـ 883 هـ) التى كـانت تضــع عـلى رأسها قلنسوة ملكية حمراء مزينة باثنتى عشرة زهرة ٠ والتى شجعت التراكمة المدعوين كيزيلباش وهم يحملون على رؤوسهم نفس القـلانس الحمــر على العثمــانيين السنيين « وماه بيكر قوسم سلطان » والدة السلطان العثمانى « مراد الرابع » (1032 ـ 1049 هـ) ٠ أنظر كذلك دويرفر المذكور فى التعليق الثامن الذى يذكر تراكنات أخريات ٠

33 ـ أ٠ ايرزى « أبن بيبى » ـ الموسوعة الاسلامية ـ (اسطنبول 1968) ٠

34 ـ محمد زيهنى ، 1 ـ 132 ؛ 234 ، 337 ؛ 2 ـ 224 ٠

35 ـ محمد زيهنى ، 2 ـ 140 ، 1 ـ 285 ، 370 ، 2 ، 15 ـ 6 ، 2 ـ 165 ، 198 ، وغـيرهــا ٠

36 ـ محمد زيهنى : 2 ـ 142 ، 396 ٠

37 ـ م٠ عارف ـ بنبير الحديث الشريف الصحيح ـ (كاهير ، 1319 هـ) الحديث 377 ٠

38 ـ توران ـ تورك سيهان حاكيمييتى ـ 126 ـ 27 ٠

39 ـ ابراهيم الذيم ـ سبات فى تمايريت قيامت آن بيرعلامت ـ (اسطنبول 1279) 46 ـ 50 ٠

40 ـ ا٠ هـ٠ كنيالى ـ ايرزوروم التاريخى ـ (اسطنبول 1960) 539 ٠

41 ـ هى شهادة أمها « مفيدة فريد تاق » ٠

الاســلام و العــالم المعــاصــر (*)

د . سالفـاتورى بـونـو
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بجامعة بيروجيا،(روما)

مبعوثنــا الخــاص .



هناك ، الى جانب المكانة المتنامية التى تحتلها البلدان العربية ـ ولا سيما البلدان المنتجة للنفط منها ـ فى الساحة الدولية ، وعى حاد يزداد عمقا على مر الايام لدى العالم العربى بتقاليده الدينية والثقافة الخاصة ، وبضرورة اسهام هذه الثقافة فى ايجاد الحلول المناسبة لمشــاكل المجتمع المعاصر . وضمن هذه المهمة المتمثلة فى تبادل الآراء والتباحث ، لا على الصعيد الداخلى للثقافة الاسلاميــة فحسب ، بل كذلك مع ممثلى ديانات وثقافات أخـرى ، تندرج ملتقيات الفكر الاسلامى التى تنظمها ، سنويا ، منذ سنة 1967 ، الــوزارة الجزائرية للتعليم الاصلى والشؤون الدينية ، برئاسة وتحت اشراف النشيط الذى لا يعرف الكلل ولا الملل ، السيد الوزير مولود قاسم نايت بلقاسم .

(*) مقال نشرته صحيفة «الاوسرفاتورى رومانو» الناطقة باسم الفاتيكان فى 7 ـ 8 ـ مـارس 1977 .

وفى الملتقى الحادى عشر الذى عقد خلال النصف الاول من شهر فبراير بمدينة ورقلة ، شارك ، كالعادة ، ممثلون عن البلاد والجاليات الاسلامية فى العالم اجمع ، لا فى البلاد العربية فقط ، فقد كان من بين المشاركين فى الملتقى هذه السنة ممثلون عن مالى ، واليابان ، والاتحاد السوفياتى ، وجزيرة موريس • فهذه المشاركة المتنوعة، تعد ، من جهة ، شهادة عينية ملموسة على توسع ، وقـوة الاسلام ، ذلك الدين الذى يعبر عن نفسه فى اشكال ثقافية أخرى غير الاشكال العربية ، ومن جهة ثانيـة ، تتواجه داخل هذه الثقافة العربية ذاتها ، لا تقاليد مختلف التيارات التفسيرية فحسب، بل وكذلك التطورات التاريخية والاجتماعية المختلفة من بلد الى آخر • والسمة المميزة لهذه الملتقيات هى وجود نحو ألف طالب جزائرى (من طلاب الجامعة والسنوات النهائية للتعليم الثـانوى قدموا من كل انحاء البلاد) ، ممن يسمـح لهم بتوجيـه الاسئلـة الى المحاضرين • ان هذا الانفتاح على الشباب الذين يواظبون على متابعة أشغال الملتقى وعلى مشاركة خليقة بكل ثناء ، لامر ليس من قبيل الامور الثانوية ، بل مما يزيد فى جدارة المبادرة •

ان النقطة الاولى فى جدول اعمال كل ملتقى من هذه الملتقيات والمختارة مسبقا تخص موضوعات ذات طابع تاريخى ، وهى تهم بصفة عامة المدينة أو الناحية التى ينعقـد فيها الملتقى • وقد جرى الحديث فى هذه السنة عن الدولة الرستمية ذات الاصـل الايرانى والمعتقد الخارجى ، تلك الدولة التى استقرت بالجزائر كأول كيان مستقل فى الاسلام المغربى ، فيما بين القرنين الثامن والعاشر الميلادى ، وذلك فى تيهرت (تيارت) أولا ثم فى ورجلة ، وبالذات فى مدينة سدراتة الاثرية حاليا • وقد سلطت المحاضرات فى مجموعها ، ولا سيما فيما يتعلق بالحجج النوعية ، ضوءا جديدا على دولة ومجتمـع الرستميين الذين أغفلهم المؤرخون المسلمون بسبب طابعهـم الخـارجى عـن مـذهب أهل السنـــة •

« والاسلام فى افريقيا اليوم » كان الموضوع الثانى الذى ما من شك فى انـه موضوع أوسع وأكثر أهمية • وقد ألقى المحاضرون ، وبخاصة منهم المحاضر المصرى محمد عبد الله عنان ، نظرة على وضع الاسلام فى القارة الافريقية ، سواء من ناحيـة

العدد (نسبة السكان المسلمين ، الخ ...) أم من ناحية الظروف التى تحيط بالدين الاسلامى فى كل بلد افريقى . ومع ان الموضوع قد ركز على الوضعية الراهنة الا ان الاعتبارات التاريخية لم تكن غائبة ، وخاصة مع الاتهام الموجه الى الاستعمار الاوروبى (وهذا قابل للنقاش فى كثير من الحالات) بتشجيع التمسيح أو التنصير على حساب الدعوة الاسلامية . ومن المحاضرين ، وبخاصة منهم السعودى عبد الحليم عويس ، من أبرز بقوة ، العلاقة بين الاسلام والمسيحية ، منظورا اليها ، بوجه خاص ، من ناحية المناقشة ، وبذلك لم يخصص مكان أوسع (وقريب من هذا كانت وجهة نظر الانكليزى مونتغومرى وات) لبحث الامكانية الذاتية وقدرة الاسلام ، التى لا يستهان بها تماما ، على التوسع والتلاؤم ضمن بعض المجتمعات الافريقية .

وبالنظر الى النقاش القوى جدا عبر العالم والجارى حاليا حول وضعية المرأة فى مجتمع اليوم ، واستجابة لمطالب الشباب الملحة ، اقترح الوزير مولود قاسم نايت بلقاسم ، كما أشار الى ذلك فى خطاب افتتاح الملتقى ، ان يدرج فى جدول الاعمال موضوع : « المرأة بعد عام المرأة » ، وهى المسألة التى سادت بالفعل لما استحوذت عليه من نحو عشرين محاضرة من بين المحاضرات الاربعين .

وقد ظهرت أصوات مختلفة فى الموضوع ، فهناك ، من جهة ، صوت المطالبات العراكية بتحرير وبأسبقية المرأة (كزافيير غوتيي - باريس) التى كان عنوان محاضرتها « نحن الساحرات » ، أو صوت الدعوة الهادئة الى علاقات جديدة بين الرجل والمرأة رائدها المحبة والحنان ، وقد جاء ذلك فى محاضرة لفرنسية أخرى هى فرانس كيرى (باريس) ، أو صوت التأكيد الواعى للمكانة التى تحتلها المرأة فى كل مجتمع ، وللحقوق التى يجب ان يعترف لها بها كذلك (وقد جاء ذلك فى المحاضرة الملتزمة جدا التى القتها الجزائرية زهور ونيسى) .

وهناك ، من جهة أخرى ، محاضرات هى الى حد ما أكثر محافظة أو تصلبا ولكنها منفتحة على تطور الازمان ، (ومن هؤلاء الاستاذ الليبى عمر التومى ، الشيبانى) ، وثمة مجموعة محاضرات بدلا من ان تعالج الموضوع من الوجهة المجردة ، والكلامية الاخلاقية ،

أو الاجتماعية الثقافية ، راحت تبرز التطور الملموس لمركز المرأة والمواقع التى احتلتها فى هذا المجتمع أو ذاك ، وهذا ما فعلته كليليا سارنيلى تشركوا ، الاستاذة بجامعة نابولى ، التى لمحت مثلا الى وضعية المرأة بايطاليا ٠

ان العدد الكبير من الذين تدخلوا فى النقاش ، وحدة وحيوية هذا النقاش ، كل ذلك جعل من موضوع « المرأة » موضوعا مسيطرا فى هذا الملتقى الحادى عشر ، مما يدل على ان المشكل مطروح أيضا خارج العالم الغربى ٠

وحيث أن التقاليد التاريخية والوقائع الاجتماعية والثقافية الراهنة لمختلف بلاد العالم العربى الاسلامى أو غيرها من المحاضرات متباينة كل التباين ، وبما أنه يتعين مراعاة كل واحدة منها واحترامها فى خصوصيتها ونسق تطورها ونموها ، فان أقل شىء يمكن انتظاره هو حصول اتفاق بشأن هذا الموضوع ٠

والنقطة الرابعة التى لم تحظ باهتمام كبير وهى (هل ثروات باطن الارض نعمة أم نقمة ؟) تعنى من قريب ، وبصورة خاصة ، البلدان العربية المنتجة للنفط بما فيها الجزائر ٠ فالمكان الذى عقد فيه الملتقى ذاته ، وهو واقع على مسافة نحو مائة كيلومتر من الحقل البترولى الكبير حاسى مسعود ، يشكل دعوة الى مراعاة النتائج الايجابية أو السلبية التى يتضمنها استغلال الثروات الطبيعية بالنسبة الى البلاد المالكة لهذه الثروات ٠

وضمن هذا الافق برزت محاضرة على صبرى (1) الذى تناول الموضوع من جوانبه السياسية والاقتصادية الملموسة ٠ واثناء النقاش ، لم تغفل الاشارة الى النضوب المحتمل للثروات المعدنية والبترولية منها بوجه خاص والى ضرورة التزام جانب الحكمة فى استخدام المنتوجات المشتقة منها ، ووجوب التفكير حالا فى الوسائل البديلة المستقبلة ٠

كل ملتقى من هذه الملتقيات يعقد فى مدينة من المدن الجزائرية المختلفة شرقا وغربا ، ساحليا أو داخليا ، وهذا تلبية وتجسيد لرغبة واضحة من منظمى هذه الملتقيات

(1) مدير الابحاث المنجمية فى سوريا سابقا ، ومدير وكالة شيزى بروما حاليا ٠

فى عدم اعتبار هذا المؤتمر مجرد لقاء ومناقشة بين جمع من المثقفين فقط ، بل ان يغدو فرصة للمشاركة وحافزا للبلاد كلها، ولا سيما الشباب الذى يسعى الملتقى الى الاقتراب منه فى كل بلدة هو فيه ، (تبث محاضرات ومناقشات الملتقى فى كامل ربوع المدينة بواسطة مكبرات الصوت) .

ويتيح الملتقى للمشاركين وللطلاب الجزائريين والضيوف الاجانب فرصة للتعرف على مدن ونواحى جديدة من هذا البلد الواسع الذى تمثله الجزائر . وفى ورقلة التى تغيرت ملامحها من مدينة ضائعة فى الصحراء الى مركز للولاية نشيط ومنظم لايملك المرء الا ان يعجب لهذا التطور الخارق للعادة فى مجال البناء والعمران سواء منه ما تم تحقيقه فعلا ام هو فى طور الانجاز مما كان ثمرة برنامج خاص ضبطته الحكومة أثناء الاجتماع الذى عقدته بهذه المدينة الصحراوية (2) فى شهر نوفمبر 1966 .

ان ملتقيات الفكر الاسلامى بموقعها وطرائق نموها وتطورها ، ضمن الاشكالية القائمة بين عزمها الصادق على التمسك بالتقاليد الاسلامية ، والتزامها الراسخ بالتناغم مع متطلبات العالم المعاصر ، تمثل ، فى واقع الامر ، لحظة فى الطريق الشاق ، ولكنه الطريق الحق ، الذى تقطعه الجزائر حاليا نحو نهضة اقتصادية واجتماعية حقيقية .

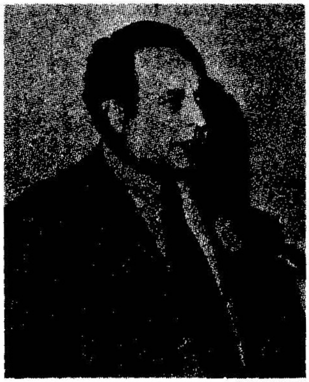
---

(2) البرنامج الخاص الاول من سلسلة البرامج الرامية الى القضاء على الفوارق الجهوية .

الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى (*)

(ورقلة - الجزائر)

د. ميكال دى ايبالزا
استاذ بجامعة مدريد



انعقد بمدينة ورقلة فى الجنوب الجزائرى من 6 الى 15 فبراير 1977 م ، الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى ، ونحن بتقديمنا هذا اللقاء ، سنقيم بنى وهياكل هذه الملتقيات الجزائرية التى هى عبارة عن تظاهرات ثقافية اصيلة وهامة جدا من تظاهرات العالم العربى التى تقوم على الآية القرآنية ذات الدلالة العميقة :
«ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» .

وفعلا فمنذ احد عشر عاما تعقد ملتقيات فى مختلف المدن الجزائرية ، وهو ما يشكل استمرارا أكيدا من بين العديد من المؤتمرات الثقافية بالعالم العربى . وهذه الملتقيات تنظمها وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية الا انها فى الحقيقة تعد بادرة شخصية للوزير مولود قاسم نايت بلقاسم .

وقد عقد الملتقى الحادى عشر بمدينة ورقلة الواحة الصحراوية التى اتخذ منها الخوارج أو الاباضيون عاصمة لهم فى مطلع القرن التاسع عندما طرد الفاطميون الدولة الرستمية من تيهرت . وعلى بعد بضعة كيلومترات من هذه المدينة ، تقوم أنقاض سدراتة ، ومدينة غارداية عاصمة وادى ميزاب حيث يستقرالمذهب الاباضى الجزائرى حاليا . وكانت الملتقيات الاخيرة قد عقدت بالجزائر العاصمة ، وفى تيزى وزو (القبائل

(*) مجلة المنارة : مدريد

الكبرى) ، وفى وهران ، وبجاية (الساحل الاوسط) ، وتلمسان (العاصمة التاريخية بالغرب الجزائرى) وعنابة (الساحل الشرقى للجزائر) ·

ان عقد هذه اللقاءات لينهض بالقيم الثقافية لهذه النواحى : مجلة « الاصالة » التابعة لهذه الوزارة تفرد عددا خاصا لتاريخ الناحية ، وهناك مساجد تشيد فى الاحياء والقرى التى لا تتوفر على مثل بيوت العبادة هذه ، وفى كل ملتقى من هذه الملتقيات يخصص موضوع لتاريخ الناحية ، كما تنظم رحلات دراسية وسياحية للمواقع التاريخية (وفى هذا العام تمت زيارة سدراتة ، وغارداية ، وتوقرت ، وآبار النفط فى حاسى مسعود) ·

أما المشاركون فى هذا الملتقى فهم نوعان : من 50 الى 70 أستاذا واختصاصيا معظمهم من الاجانب الذين يحضرون بدعوة من الوزارة، ونحو ألف من الطلبة وتلامذة الثانويات، وعدد من اساتذة التعليم الاصلى ·

يلقى الاساتذة محاضراتهم فى الموضوعات المسجلة بجدول اعمال الملتقى ، ثم يشاركون فى المناقشات التى تعقب المحاضرات ، فالطلبة يلقون باسئلتهم على المحاضرين الذين يجيبون بصورة اجمالية ، وكل موضوع يلقى فيه عدد قد يقل أو يكثر من المحاضرات التى تدوم كل واحدة منها 30 دقيقة ، وتعقيب الاساتذة محدود بعشر دقائق لكل واحد منهم · ويتولى المحاضرون الاجابة على هذه التعقيبات وعلى خلاصة الاسئلة التى يطرحها الطلاب ·

ان هذا الاسلوب فى العمل لطويل فى مجموعه يستغرق ساعات عديدة الا انه يسمح بمجال أوسع ومتوازن من تبادل الآراء حول الموضوع المطروق ويتيح للمشاركين امكانية التفكير مطولا فى الموضوع الرئيسى المطروح للمناقشة ·

والذى تجدر الاشارة اليه فى المقام الاول هو ان تواجد اساتذة اجانب يضفى على هذه الملتقيات او اللقاءات طابعا اصيلا · ففيهم المسلمون وغير المسلمين ، وفيهم العرب المسلمون ، وفيهم الاتراك ، والهنود ، والسوفيات ، والاندونيسيون ، والافارقة ، ومن العالم اجمع ، وفيهم مستشرقون ، وفيهم اختصاصيون من كل نوع · وفى هذه السنة

قدم (انصار قضية تحرير المرأة ورجال القانون) مجموعة متنوعة من الآراء حول كل موضوع بذاته ويشكل هذا المزيج عاملا قويا من عوامل الانفتاح الدولى متحدثا باللغة العربية وبالفرنسية والانكليزية مع ترجمة آ نية ·

ان موضوعات هذا الملتقى الحادى عشر لتمثل عينة حسنة للاتجاه التقليدى السلفى والعصرانى لهذه اللقاءات فى آن واحـد ·

1 ـ تاريخ الرستميين فى تاهرت وورقلة ·

لقد نوقشت ـ زيادة على الجوانب التاريخية البحتة ـ مشكلة العرق والاجناس فى الاسلام · وقد تحدث عن الخوارج كل من الشيخ سليمان داود بن يوسف والاستاذ الليبى عمرو خليفة النامى · وكان الشيعة والبربر حاضرين كذلك باعتبار ان الاباضيين كانوا ولا يزالون بربرا جنسا ، ولغـة ·

2 ـ الاسلام فى افريقيا اليوم ·

تناول المحاضرون بالنقاش الجوانب الاجتماعية والتاريخية للموضوع ، بيد ان قوة انتشار الاسلام وتوسعه واستراتيجيته أمام القوى المنافسة له (الماركسية ، والمسيحية، والامبريالية ، والصهيونية) قد طال الكلام فيها · وكانت المناقشات حول مظاهر التخلف الاجتماعى فى النواحى التى انتشر فيها الاسلام بافريقيا مناقشات هامة ، وكذلك الشأن بالنسبة الى بعض التعقيبات التى تناولت الثقافات المحلية بافريقيا ·

3 ـ المرأة بعد العام العالمى للمرأة ·

تضافر على الحديث فى هذا الموضوع رجال القانون والخبراء الاختصاصيون الاوروبيون فى شؤون المرأة ـ ومعظمهم نساء وعدد كبير من رجال الفكر المسلمين المحافظين وفريق بارع للغاية من مناصرى قضية المرأة فى تركيا وباكستان · وكان التوازن بين نزعة المحافظة النظرية ونزعة التطور العملى يبدو أوفق فى نظر اصحاب النزعة الاولى ، لكن ـ وهم يعترفون لاتباع النزعة الثانية بحقوقهم ـ لا يمكننا ان نأمل مزيدا على ذلك نظرا لعدد المشاركين من المحافظين · فمجرد طرح الموضوع للمناقشة بانفتاح كما حصل بالفعل (سواء من ناحية مقترحات المؤتمرين أم من حيث العبارات

المتعمد تلوينها وتعميمها من قبل المحافظين التقليديين) يبدو فى حد ذاته عنصرا ايجابيا للغاية وممثلا تمام التمثيل لجدلية التقدمية والمحافظة بين المشاركين فى الملتقى ·

4 ـ هل الثروات الباطنية (أو باطن الارض) نعمة أم نقمة ؟

زيادة على جوانب تقدير وتقييم ما وهبه الله ، ومزايا التقنية ، فقد درست كذلك المخاطر الناجمة عن الاستعمار الاقتصادى الجديد ، وامبرايالية الشركات المتعـــددة الجنسيات او الاوطان · وقد زاد المحاضر الاخير الاستاذ «د ا ود كاون» من جامعة لندن بتقديمه محاضرته التى عنوانها « الانسان خليفة الله فى الارض » فاوضح مرة أخـرى شعـــار الملتقى المتمثل فى « **ان الله لا يغـير ما بقـوم حتى يغـيروا ما بأنفسهم** » حيث لا تكاد النزعة التقليدية أو سلفية الآيه القرآنية التى مضى عليها ما يقرب من 14 قرنا تخفى تطلع العالم الاسلامى الحديث بصفة عامة والاشتراكية الجزائرية بصورة خاصة الى التقدم الاجتماعى ·

وفعلا فان لهذه المؤتمرات او الملتقيات حول الفكر الاسلامى مظهرا تقليديا واضحا قد صدم بغير حق فى رأى بعض المشاركين (انظر ب·شالميطا) (1) « **ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت** » فى «نشرة الجمعية الاسبانية للمستشرقين» مدريد IX (1973 205ـ203) ·

فباستثناء مؤتمرات الغربيين الاكاديمية بصورة عامة ، نجد ان منهج التقديم الاسلامى للموضوعات يجرى حتما بعبارات، ومفاهيم تبدو تقليدية للغاية · ان اختيار الافكار الذى تقوم به الصحافة الجزائرية يساهم اكثر فى اعطاء هذه الملتقيات، وفى منح الوزارة التى تنظمها شهرة بالجهالة وبالرجعية بين الطبقـة الحاكمة والمثقـفة « العصرية » فى البلد ومع ان النصوص التقليديه عموما للمحاضرات متزنة جدا فى بعض الاحيـان وقابلة للتأويل اثناء المناقشات الطويلة ، فانه لا يسعنا الا ان نلاحظ نزعة تقليديـة جلية فى معالجة الموضوعات وفى اللغة المستعملة كما هو العادة فى السياق الدينى ·

والاسلام بتنظيمه الدينى لمجتمـع سياسى يثبت هنا بالذات جدلية خاصة للغاية بين الخطاب الدينى ، التقليدى ، وحتى الروحى أو اللازمنى ، والواقع الملح للمجتمـــع الاسلامى الراهن · وهنا نقدر الاهتمام الخاص الذى يوليه الاسلام لخير المسلمين عامة ·

(1) شارك فى الملتقى السادس الذى انعقد فى قصر الامم بنادى الصنوبر فى العاصمـة سنة 1972 . غادر الملتقى احتجاجا على تذكيره بأبسط قواعد اللياقة والذوق فى ملتقى يضم اساتذة جامعيين وطلبة وطالبات ...

ان الفكر الاسلامى يبدو أنه ـ واكتب للاسبان لا للمسلمين ـ تمرين روحى مُرْضٍ جدا لربط الواقع الراهن بنظام من الفكر التقليدى ٠ فهناك من المسلمين من هم بحاجة الى ان يكتشفوا بان نشاطاتهم العصرية تنسجم مع النظام الروحى ، ومع الخطاب القرآنى والسنة الاسلامية.ومثل هذه الملتقيات تيسر لهم هذا اللون من التفكير ، وهم يعدون بالآلاف دون شك فى الجزائر ٠

فالذين هم بحاجة الى اقامة هذه العلاقة بين القديم والحديث حتى لا يقعوا فى «عصرية لائكية» لا ترضى الروح ، او فى سياسة تعصب دينى ، يمكنهم ان يتبوأوا أية وثبة شاءوا فى الفراغ الاجتماعى السياسى شريطة ان تكون القيم الدينية للاسلام محمية الى أبعد الحدود ٠

وليس من الممكن ولا من المناسب هنا ان ندخل فى تفاصيل البنية الاجتماعية الدينية للجزائر،هذه البنية التى تفسر الى حد ما هذه الملتقيات فهى أمر يشترك فيه كثير من البلدان العربية ٠

ان الاستعمار الفرنسى الذى طال امده واشتد اضطهاده فى هذا البلد بصورة خاصة ، قد جعل القدرة الدفاعية لشعب بأكمله تتركز فى الدين الذى تفهمه الغالبية العظمى منه بمعناه التقليدى والمحافظ ٠ وتلك نتيجة بديهية للجهل الذى كان يسود عامة الشعب ٠ وبعد الاستقلال كان من المهام الاساسية للسلطات العمومية من الوجهة الايديولوجية ان تعمل شيئا فشيئا وفى اطار اسلامى على تفتيح هذه الذهنية السائدة كامة دينية فى اوساط فئات معتبرة من السكان ٠ فالتطور السريع للطبقة المسيرة وجماهير الطلاب لا يفتأ يبرز الهوة التى قد تزداد عمقا بين اقلية محظوظة من الجزائريين المتنورين أو العصرانيين والجماهير الشعبية بالبلاد ٠ ان الاختيارات الاجتماعية الرسمية وغياب الجماهير الشعبية،ليزيدان من خطورة ظهور بعض الحركات الشعبية غير المتوقعة ضد الاقلية الحاكمة ، وذلك بالارتكاز على ايديولوجية دينية محافظة بالذات ، وبالاعتماد على مساندات دولية فى العالم العربى ٠ وأمام هذا المشكل يبدو ان الجماعة الحاكمة فى الجزائر المهتمة جد الاهتمام بالمسائل التقنوقراطية للحكومة قد فوضت الى وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية أمر القيام بالمهمة الكبيرة المتمثلة فى التأطير

الايديولوجى لهذه القوى التقليدية أو المحافظة ، وفى ارضاء مطالبها. لكن الوزارة تسعى فى الوقت ذاته، وبفضل هذه الملتقيات، الى جعل هذه التيارات المتزمتة تنفتح على مشاكل المجتمع الجزائرى الاكثر أهمية ، وعلى التيارات الايديولوجية الدولية فى العالم الاسلامى ، وفى المجتمع الحديث ٠ ان العدد الكبير المتنوع من المحاضرات والموضوعات المطروقة المعروضة دائما فى صيغ متزمتة محافظة بل وبدائية ليبين بوضوح هذه المهمة التربوية والتقدمية التى تكتسبها جهود المسؤولين الجزائريين ، وعلى سبيل المقارنة قد يجرى التفكير فى المؤتمرات الدينية الاوروبية القليلة فى دعوة احد المسلمين مثلا للاطلاع على وجهة نظره بشأن المسائل الدينية ٠

ان هناك عملا فكريا وتربويا بعيد المدى يجرى تحقيقه اثناء هذه الملتقيات ولا يمكن لتظاهرات النزعة المحافظة الظاهرة والمتعمدة التى قد تصدم البعض أن تنسينا ان هذه الملتقيات الجزائرية لا يمكن ان نقارنها بمثلها فى العالم الاسلامى والعربى حيث تتوالى المؤتمرات النخبوية دونما اى استمرارية ، وبقليل جدا من الاثر على عامة الشعب ولا حتى المؤتمرات التي تنظمها العربية السعودية بمناسبة موسم الحج السنوى ٠

ومن ناحية أخرى فان مجموعة الاساتذة ورجال الفكر العرب منهم وغير العرب المدعوين الى القاء محاضرات أو لمجرد المشاركة فى الملتقى تشكل شبكة من علاقات دولية هامة ومفيدة للجزائر فى الميدان الدينى والثقافى ٠ فمثل هذه الضيافة السخية الكريمة تسمح بلقاءات مثمرة جدا بين المستعربين الغربيين وزملائهم المسلمين ، بين المثقفين من مختلف النزعات ، بل وحتى بين المفكرين الجزائريين الذى قد تحتاج لهم مثل هذه الفرص السانحة للقاء والتفكير فى موضوعات دينية وثقافية ذات المصلحة العامة ٠

اننا لا نزعم بهذه الملاحظات الوجيزة امكان الاحاطة بهذه الظاهرة الدينية والثقافية التى تمثلها هذه الملتقيات الجزائرية للفكر الاسلامى ٠

فهناك أطروحات جامعية كثيرة تعالج حاليا هذه الملتقيات وما تتركه من اصداء ، حيث يجد المرء حصيلة وافرة من الافكار التى تتفاوت من حيث القيمة والتى تمثل تمام التمثيل مع ذلك الحياة الثقافية الراهنة ٠

ونود أن نختم هذه الملاحظات بايراد جملة أفكار حول الملتقى الحادى عشر لها علاقة مباشرة ، بقدر او بآخر ، بالحضارة الاسبانيـة ٠

المعاينة الاولى هى الاهتمام الجزائرى بالمؤرخين الاسبان. فبالنظر الى الماضى المشترك الطويل بين البلدين نجد ان الموضوع التاريخى الذى يطرح على بساط البحث فى كل ملتقى يشكل فرصة لدعوة بعض المؤرخين المستعربين الاسبان بصورة منتظمة وربما كان بامكان المنظمين توسيع هذه المجموعة من الاخصائيين الاسبان، لكن تجربة غير ناجحة قد سبق ان اجريت ٠ فالاسبانيون يجهلون اولا يحترمون القيم التقليدية الاسلامية واللغة الاتفاقية المستعملة حاليا فى العالم العربى والاسلامى لطرق موضوعات دينية ، وفى الملتقى الحادى عشر شارك الاساتذة: غوميث نوغالس، وفيغيرا، بموضوع يتصل بتاريخ الرستميين ، والاستاذ ميغال دى ايبالزا بمحاضرة له عن الاسلام فى اسبانيا اليوم ٠

ولقد كانت المحاضرات كلها باللغة العربية الا انه يمكن استعمال الفرنسية والانجليزية وكذا الاسبانية والالمانية ، وقد دعى الى هذا الملتقى كذلك ثلاث نسوة هن استاذات فى الجامعة الاسبانية لكنهن لم يحضرن ، وكان بامكانهن ، وهن المستعربات ، ان يتدخلن لدى معالجة الموضوع المهم الثالث كما فعلت بنجاح المستعربة الايطالية كليليا سارنيلى تشركوا(1) وبمجرد التنسيق يمكن ان تتوقع فى المستقبل دعوة اخصائيين آخرين من الاسبان للتحدث فى موضوعات لن تقتصر على الناحية التاريخية فقط ٠

وبمحضر شخصية صحراوية برز بمساندة الجمهور أكثر مما برز بمشاركته فى أشغال الملتقى لم يكن هناك الا تلميحات قليلة للسياسة الاسبانية أو لاسبانيا ٠

وقد جرى الحديث عدة مرات عن الحضارة الاندلسية الوسيطة ، وعن الجو الاخوى الذى ساد المؤتمر الاسلامى المسيحى فى قرطبة ٠

فمن الوجهة المسيحية ، وفيما عدا وجود ومشاركة بعض رجال الكنيسة المعروفين مثل غوميث نوغاليس ومونت غومرى وات اللذين وجهت اليهما الدعوة لجدارتهما كباحثين، هناك موضوع اثار مناقشات عديدة فى القاعة ، الا وهو السياسة الدولية

(1) C.S. Cerqua.

التى ينتهجها الفاتيكان ضد الاسلام والنشاط التبشيرى للبعثات المسيحية بالبلاد الاسلامية • فعلى الرغم من الاحترام التقليدى الذى تستوجبه المسيحية ، لم تكن هناك الا اشارات قليلة الى الموضوعات الجدلية التقليدية مثل التثليث وغيره ••• ان الاسلام ليميل الى ان يعتبر نفسه مضطهدا بفعل مؤامرات دولية (الصهيونية ، الماركسية ، الامبريالية ، التبشير) كما انه يتاثر عادة لنشاط المبشرين المسيحيين فى أوساط المسلمين •

اعتقد ان من واجب المسيحيين ان يفكروا مليا فى طرائق العمل التى تتبعها البعثات المسيحية الموروثة عن الاستعمار ، وان يفهموا كذلك المعنى الجدلى لموقف المسلمين من النشاط التبشيرى • وانى لاعتقد فى الواقع ان الموقف العدائي الذى يقفه المسلمون من النشاط التبشيرى المسيحى مرجعه الى غضب المسلمين الكامن امام وقائع المسيحية الراهنة التى تختلف تمام الاختلاف عن الاسلام وهو ما لا يمكن الافصاح به ، علما بأن النصوص القرآنية تدافع عن المسيحية ، الا ان هذا الغضب يعبر عنه بصورة غير مباشرة عن طريق مهاجمة النشاط التبشيرى.انه لامر جدير بان يطرح للدراسة •

ومن قبيل النكت الاسلامية المسيحية نذكر تدخل امام مسلم المانى فى المناقشة. أشار الى وثيقة صدرت أخيرا عن الفاتيكان تتعلق باستحالة ان تمارس المرأة وظيفة الكهنوتية أو القسوسة وذلك ليبين ان ديانات أخرى تمارس نوعا من التمييز الاجتماعى الدينى بصدد وظائف المرأة •

هذا وسيعقد الملتقى الثانى عشر للفكر الاسلامى بمدينة باتنة عاصمة جبال الاوراس ، وذلك فى شهر جويلية 1978 • وكمثال عن ايديولوجية هذه اللقاءات نورد ترجمة لتوصيات الملتقى الحادى عشر •

1 ـ مساهمة الرستميين فى حضارة الاسلام وفكره •

توصى اللجنة بما يلى :

أ) ان تهتم وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ببعث التراث الاباضى فى نواحيه المتعددة ، فتكلف من يبحث عن المخطوطات التى ما تزال فى حوزة الافراد،

والجماعات من الاباضيين تمهيدا لطبعها ونشرها ، كما تعمل على اعداد ببليوغرافيا (ثبت) مستوفاة شاملة لكتب الاباضية الموزعة فى انحاء العالم ، وأن يكلف بهذا الامر شخص ذو كفاية وتجربة فى هذا الميدان ٠

ملحوظة : (تشيد اللجنة بكفاية الدكتور عمرو خليفة النامى فى هذا المجال لخبرته الطويلة فيه) ٠

ب) توصى اللجنة ـ ضمن نطاق بعث التراث الاباضى أيضا ـ برصد الاطروحات والرسائل التى قدمت فى مختلف الجامعات فى موضوع التاريخ الاباضى والعقيدة الاباضية وتصويرها والاحتفاظ بها لتصبح فى متناول من يود الاطلاع عليها ٠

ج) استكمالا للجانبين المذكورين آنفا ، ترى اللجنة ان تقوم الجهات المختصة بتشجيع البحث عن آثار الرستميين عامة والاباضيين خاصة واسترجاع ما يمكن استرجاعه من هذه الآثار التى تسربت الى الخارج زمن الاحتلال ، وبتوجيه نداء لعلماء الآثار المسلمين كى يولوا الآثار الاباضية اهتمامهم ٠

د) وضمن هذا الهدف أيضا ، توصى اللجنة بأن تشفع دراسة التراث الاباضى بدراسة واقع المجتمع الاباضى دراسة عملية ميدانية تتناوله من النواحى الاثنوغرافية والديموغرافية والاجتماعية ، رغم أدراك اللجنة ان الطريق الى مثل هذه الدراسة قد يكون محفوفا ببعض الصعوبات فانها توصى بان تقوم الجامعات بتشجيع هذا النوع من الدراسة ، وذلك فى نطاق دراسة المجتمع الجزائرى والمجتمع العربى عامة ٠

هـ) تقترح اللجنة بأن تؤلف من السادة المهدى البوعبدلى وسليمان داود بن يوسف ، وعمرو خليفة النامى وفرحات الجعبيرى لجنة خاصة تقوم بالاعداد اللازم لاصدار كتاب يتضمن دراسات وبحوثا عن الاباضية فى تاريخها وحاضرها ٠ ويكلف بتلك الدراسات والبحوث عدد من الدارسين فى مختلف انحاء العالم بحيث يكون الاجل المضروب لتسلم تلك الابحاث ديسمبر 1978 حتى تتمكن اللجنة المذكورة من تحرير الكتاب واعداده للطبع خلال سنة 1979 ، وترجو اللجنة ان يجد هذا الاقتراح تأييدا وتشجيعا من وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، بل تقترح أن يصدر هذا الكتاب باسمها وباشرافها ٠

و) ترى اللجنة أن يتجه الباحثون المسلمون فى شتى المذاهب الاسلامية الى القيام بدراسات عن مختلف الفرق والمذاهب الاسلامية ، على ان تكون دراسات علمية موضوعية وان تتناول الفرق والمذاهب التى نشأت فى ظل الاسلام ، وكان لها فى دار الاسلام دور تاريخى مرموق ، وتنبه اللجنة الى ضرورة التمييز فى تلك البحوث بين المنهج التاريخى والمنهج الكلامى المتصلين بتلك الفرق ، وعلى أن يستعمل المنهجان معا لاثراء الفكر الاسلامى المعاصر وايجاد قدر أكبر من التفتح بين المسلمين فى المذاهب المختلفة .

2) الاسلام فى افريقيا اليوم .

أ) ان تعمل دراسات تكميلية تفصيلة فى المشكلات والعناصر التى ما زالت فى حاجة الى الدراسة فى موضوع الاسلام بافريقيا اليوم .

ب) تبنى القضايا والمشكلات التى يواجهها المسلمون فى افريقيا السوداء ، وبذل مجهود لامداد هذه البلاد بكل ما تحتاج اليه من وسائل التعريف بالعلوم الاسلامية ، وتزويدها بالمدرسين والدعاة وعلماء الدين المستنيرين وبالمصاحف والكتب والنشرات التى تزيدهم علما بأصول الاسلام وتعاليمه الصحيحة .

ج) العمل على اعداد الدعاة وعلماء الدين والوعاظ الذين يمكن أن يسدوا هذا الفراغ فى افريقيا الغربية والوسطى والشرقية ، ومن المستحسن أن يكون هناك عدد كبير من الدعاة الافارقة انفسهم يجرى اعدادهم اعدادا اسلاميا وفكريا صحيحا .

د) دعوة الدول الاسلامية ومنظمة المؤتمر الاسلامى وما اليها من الهيئات الاسلامية الاخرى للمساهمة فى انشاء جهاز للدعوة الاسلامية ، وذلك لتقديم المعونات الفنية والعلمية والاقتصادية للبلاد الافريقية المحتاجة اليها .

3) المرأة بعد عام المرأة .

أ) يوصى الملتقى المسؤولين والعائلات فى المجتمعات المختلفة المستوى فى العالم كل حسب معتقداته الدينية ، وقيمه الخلقية ، ونظامه الاجتماعى بالعناية بالاسرة وبالاهتمام خاصة بالمرأة بما لها من حقوق وما عليها من واجبات .

ب) وفيما يتعلق بالعالم الاسلامي بالذات ، يوصى الملتقى المسؤولين والعائلات بتطبيق ما منحه الاسلام للمرأة من حقوق وما كلفها به من واجبات تتفق مع طبيعتها وخصائصها ومواهبها ولا سيما في ميدان الاسرة التي لها فيها المركز الاساسي والاثر العظيم ، لانها الخلية الاجتماعية التي تصلح بصلاح المرأة ووعيها وحسن سلوكها كما تفسد بفسادها ٠

ج) أن تذلل الصعوبات التي تواجه تعليم المرأة في مختلف المستويات ، وذلك بتثقيفها ثقافة صحيحة تمكنها من اداء مهمتها ووظيفتها الاجتماعية والتربوية التي تتفق مع المقاصد والآداب الاسلامية ٠

د) ان يكفل للفتاة المسلمة خاصة تعليم وتربية دينية تشمل احكام الاسلام ونظامه وثقافته وذلك في جميع مراحل التعليم بما يحقق الفهم والتطبيق تحصينا لها وللفرد والاسرة والمجتمع ٠

هـ) أن توضع برامج ووسائل ملائمة لتوعية وتثقيف المرأة الريفية ٠

و) الحفاظ على حشمة اللباس الساتر لمفاتن المرأة داخل وخارج بيتها وفقا لما يأمر به القرآن والسنة النبوية الثابتة ، فهو صيانة للمرأة وللرجل وللاسرة والمجتمع ٠

ز) مساعدة المرأة والاسرة المسلمة في البلاد غير الاسلامية على رفع مستوى ثقافتها الاسلامية وتربية أطفالها تربية سليمة وفق الوسائل الحديثة ، وعلى كفالة المعاملة العادلة في تلك البلاد للاسرة الاسلامية ، وتوجيه المرأة المسلمة فيها الى ضرورة تجنب بعض السلوكات التي لا تتماشى مع تعاليم الاسلام وآدابه ، وحض الدول والمنظمات الاسلامية على تحقيق هذه المساعدات بكل الوسائل الممكنة من مالية وبشرية ٠

4) هل بطون الارض نعمة أم نقمة ؟

أ) توصى اللجنة بأيجاد جهاز وطني كامل ينهض بجميع العمليات من التنقيب الى تصنيع المواد حتى نحافظ على هذه النعمة ونوجهها الى التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ب) يجب على البلدان العربية والاسلامية ان تخصص جانبا من عائداتها النفطية لاستثماره داخل بلادها فى التصنيع والزراعة مما يحد من حرية الاقليات فى التبذير ٠

ج) يجب ان تراعى فى عملية تخطيط الاستثمار مسألة المحافظة على قيمة هـذه النعمة لان وجود النفط فى باطن الارض أفضل من توجيه رؤوس الاموال الى البنـوك الاجنبيـــة ٠

د) على الدول الاسلامية المنتجة أن تساعد البلدان المحرومة من هذه النعمة وأن توجه اليها العائد مباشرة لا بواسطة البنوك الاجنبية والدول الاسلامية التى لا تملك شيئا من هذه الخيرات فى شبه الجزيرة يجب أن تستفيد من هذه الثروة ٠

الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى (1)

د · ارجمند كوران
استاذ التاريخ بجامعة هاكتب
ـ انقرة ـ (تركيا)



ان ملتقى الفكر الاسلامى الذى يقام ـ منذ 1967 ـ سنويا فى مدينة من مدن الجزائر ، انعقد هذه السنة فى مدينة ورقلة الواقعة فى الصحراء الكبرى على مسافة 800 ميل من البحر · انتظمت هذه الملتقيات لحل مشاكل حالية يعيشها العالم الاسلامى · وذلك على ضوء العلم وبالنظر فى الفكر الاسلامى من كل زواياه · وقد دعى اختصاصيون من كل اقطار العالم لقراءة ومناقشة البحوث ·

ولطلاب التعليم العالى والثانوى الجزائريين أن يحضروا فى الملتقى ويلقوا أسئلة على المحاضرين · وتنشر الصحافة المحلية مقالات شتى بمناسبة انعقاد هذه الملتقيات التى تنظمها وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية فى الدولة الجزائرية · ويستطيع الشعب الجزائرى أن يتابع ما يجرى فى الملتقى بواسطة الصحافة الناطقة والمكتوبة ·

والموضوعات المسجلة فى جدول أعمال ملتقى هذه السنة هى كالآتى :

(1) مقال نشر فى المجلة الشهرية للثقافة التركية بتاريخ II افريل 1977 ·

1 ـ الخدمات التى أسداها للفكر والحضارة الاسلاميين بنو رستم الذين بسطوا هيمنتهم على اقليم ورقلة اثناء القرون : الثامن ، والتاسع ، والعاشر للميلاد ٠

2 ـ الاسلام فى افريقيا اليوم ٠

3 ـ المرأة بعد عام المرأة ٠

4 ـ بطون الارض أهى نعمة أم نقمة ؟

ان قرابة 200 من رجال العلم والدين ومن رجال الدولة ومن الصحفيين الذين جاءوا من سبعة وعشرين بلدا من أقطار مختلفة شاركوا فى الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى ٠

ومن بينهم شخصيات معروفة مثل الاستاذ مونتغومرى وات (ايدمبورغ) والاستاذ شارل جيدز (دانفير)،والاستاذ عبد الكريم سايطوح (طوكيو) ، والاستاذة د٠ كليليا سارنيلى تشركوا،(نابولى) والاستاذة وداد القاضى،(بيروت) والدكتور م٠ الراشدى (جاكارتا ـ السفير سابقا) والشيخ شماحى (الوزير سابقا ـ صنعاء) والدكتور اسماعيل باليك (فيينا) ٠ وممن حضروا الملتقى من تركيا الدكتور سليمان أتس ، رئيس الشؤون الدينية والدكتور على أيدين ممثل المجلس الاعلى للشؤون الدينية ، وعقيلة رئيسنا لمجلس الشيوخ السيدة ب ٠ أريبوران ، والدكتورة آمال ايزين العضوة فى معهد البحوث للثقافة التركية ، ومحرر هذا المقال ٠

ومن جهة أخرى ، أستاذة اللغة الفارسية فى جامعة أتاتورك الدكتورة صائمة اينال بمرافقة زوجها الدكتور الصاوى من جامعة طهران،وقد تالف من ثلاثة اشخاص يترأسه المفتى عبد الغنى عبد اللطيف من الاتحاد السوفياتى ٠ كلهم شاركوا ايضا فى الملتقى٠

وقد افتتحت الاعمال بخطاب وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية مولود قاسم نايت بلقاسم ٠ وكان الامين العام لملتقى البلاد الاسلامية أمادو كريم غاى حاضرا فى حفلة الافتتاح ٠

اما ما يخص الموضوع الاول : تاريخ بنى رستم فقد قرئت ونوقشت عنه سبعة بحوث ٠ ولن نطيل الكلام عنها لان لها أهمية اقليمية ٠

وكان الموضوع الثانى الذى عرض للاسلام فى افريقيا مثيرا للاهتمام .. وقرئت حوله ثلاثة بحوث مشتملة على تعداد المسلمين فى كل بلد افريقى مع وصف أوضاعهم السياسية،والاجتماعية،والاقتصادية .

وقد انصب الاهتمام بشكل خاص على الخطر الذى يهدد الاسلام فى افريقيا من قبل المبشرين المسيحيين .

والموضوع الذى أعير أكبر أهمية فى الملتقى هو الثالث : المرأة بعد عام المرأة .. فان واحدا وعشرين بحثا من الثمانية والثلاثين التى عرضت على الملتقى كان موضوعها :: حقوق المرأة . وقد تناولت بحوث الاتراك هذا الموضوع أيضا . وفى البحث المحرر بالفرنسية الذى عنوانه «المرأة التركية الوارثة للتقاليد الوطنية والاسلامية» أبرزت فيه الدكتورة آمال ازين نشاط المـرأة التركيـة فى ميادين الفـن،والادب،والعلـم، والسياسة قبل ظهور الاسلام وبعده . وقد دعمته ببراهين متينة . أما ما يخص السيدة ب. أريبوران فقد بينت فى بحثها المحرر باللغة الانكليزية الذى عنوانه « المـرأة التركية وقرارات ملتقى مكسيكو » الحقوق التى ظفرت بها المرأة التركية بفضـل اصلاحات أتاتورك والمقترحات التى قررت الجمعيات النسائية التركية ابلاغها لنسوة مكسيكو أثناء ملتقاهن الذى أقيم فى أنقرا من الخامس الى الثامن من ديسمبر 1975 . وقد حاولت أنا بنفسى أن ألخص ـ فى مقال حررته بالفرنسية عنوانه « نمو حقوق المرأة فى تركيا » ـ الحقوق التى كسبتها المرأة التركية منذ الاصـلاح (تنظيمات) حتى أيامنا هذه .

وقد استمع المشاركون فى الملتقى باهتمام الى بحوث الوفد التركى التى أثارت عدة أسئلة . ومما حظى بالتنبيه عليه ظفر المرأة التركية ـ فى العالم الاسلامى ـ بحقوق أوفر وأكثر .

والموضوع الاخير يهدف الى بيان : ان الثروات المستكنة فى بطن الارض أهى نعمة أم نقمة ؟ وقد عالج المشكلة خمسة بحوث أقام أستاذ الجغرافية فى جامعة الجزائـر الدكتور الجيلالى صارى التركى الاصل فى بحثه البرهان على أن هذه الثروات المستثمرة بصفة منتجة تعود بالخير على البلاد الاسلامية اذ هى فيها فى نمو مستمر .

وقد استمر الملتقى عشرة أيام صادق فيها باجماع على القرارات التى قدمتها اللجان وقرر أن يجتمع المؤتمرون فى المرة المقبلة فى مدينة باتنة ٠

وفى جلسة الاختتام ألقى الدكتور على أيدين خطابا بالعربية حول التربية الدينية فى تركيا وكان له وقع جد حسن ٠ وفى أيام الملتقى نظمت رحلتان الى ضواحى مدينة ورقلة ٠ زار المؤتمرون فى الاولى حاسى مسعود ٠ وهى من المناطق الرئيسية المنتجة للنفط فى الجزائر ، ومدينة تقرت منشأ طريقة « التيجانى » ٠

وادتنا الرحلة الثانية الى مدينة غرداية مركز الخوارج ٠

ومدينة ورقلة التى أقيم فيها الملتقى والتى عدد سكانها ستون الف نسمة هى ذات اهمية بفضل مساجدها، وبيوتها العتيقة، وسوقها القديمة الواقعة ازاء متاجرها الحديثة، ومكاتبها، ومتحفها « الصحراء » ٠

أعرب عن كل امتنانى لسعادة الوزير الجزائرى للتعليم الاصلى والشؤون الدينية ذى الثقافة الكبيرة والشخصية الدينامية السيد مولود قاسم نايت بلقاسم للصداقة والاستقبال اللذين تفضل بابدائهما للوفد التركى ٠ واعبر عن شكرى للسفير فايق مالك الذى دعانا بكل ظرف لطعام الغداء فى السفارة التركية اثناء اقامتنا القصيرة المدة فى مدينة الجزائر ولحسنة كوران الامين العام للسفارة ولعقيلته اللذين استطعنا بفضلهما أن نزور ونشاهد آثار المدينة الباقية الى الآن منذ عهد الاتراك ٠

حــول الملــتقى الحــادى عشــر للفــكر الاســلامى (*)

ابن الطـيب
مندوب جريدة «الفجر الجديد» الليبية
الى الملتـقى

- ضرورة اعـداد الدعـاة من الافـارقة لنشر تعـاليم الاسـلام فى افريقيـا .
- الاسـرة لا تفسـد الا بفسـاد المـرأة والـرجـل معـا .
- ايجاد الخـبرات الوطنية اللازمـة للسيطـرة على قطـاع الطـاقة بأجمعـه .



انعقد فى الفترة ما بين السادس الى الخامس عشر من فبراير 1977 م ، فى مدينة ورقلـة بالجمهورية الجزائرية الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى الذى تشرف عـلى الاعداد له وتنظيمه وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية .

وقد دعى الى هذا المؤتمر مفكرون من معظم انحـاء العالم ، يحملون مختلف الاتجاهات الدينية، والفكرية ، وشتى المذاهب المتطرفة، مناصرة، او غير مناصرة للاسلام، مما أكسب الحوار طابعا ثريا خاصا دفع بالملتقى الى أداء الغرض المرجو منه .

وقد احتوى جدول اعمال الملتقى أربعة بنود هى :

1 ـ مساهمة الرستميين فى حضارة الاسلام وفكره .

2 ـ الاسلام فى افريقيا اليوم .

3 ـ المرأة بعد عام المرأة .

4 ـ هـل بطـون الارض نعمـة أم نقمـة ؟

وقد استغرق بحث النقطة الاولى ثمانى محاضرات ، وساعات طويلة من الحوار فى المناقشة التى طرحت من خلالها، حيث تلتها النقطة الثانية والتى كان عدد المحاضرات

(*) نشر بجريدة «الفجر الجديد» الليبية بتاريخ 9 مارس 1977 , العدد 1409

فيها ست محاضرات تناولت معظم الجوانب الخاصة بحاضر الاسلام فى افريقيا،والطرق المقترح اتباعها للوصول الى مستقبل افضل لنشر الاسلام فى مواجهة كل الحملات التبشيرية الاستعمارية التى تخالف روح الدين المسيحى نفسه كما صرح بذلك الدكتور المسيحى سلفادور غومث نوغاليس ، الذى يشغل منصب رئيس قسم الفلسفة الاسلامية بالمعهد الاسبانى العربى بمدريد ٠

وكان من أبرز المحاضرات التى ربطت حضارة الاسلام ببقاع قصية ، هى محاضرة الدكتور دينس ووكر الاستاذ بقسم دراسات الشرق الاوسط بجامعة مليورن ـ أستراليا ـ عن ـ علاقة الافارقة الامريكان بالاسلام فى التاريخ الماضى والمعاصر ـ والتى سلطت الضوء على الاسلام كقوة تدفع الى النضال ضد الاضطهاد والعنصرية حتى بالنسبة لغير المسلمين فى أمريكا ٠

وقد كان للنقطة الثالثة الخاصة بوضع المرأة نصيب هائل من المحاضرات والحوار ، فقد القيت فيها احدى وعشرون محاضرة من أبرز المفكرين العرب المسلمين والمستشرقين، كان من ابرزهم المفكرة الالمانية ـ سيغريد هونكه ـ صاحبة كتاب ـ شمس العرب تسطع على الغرب ـ حيث قدمت فى محاضرتها ـ المرأة العربية فى صدر الاسلام كنموذج ـ وعيا حقيقيا بظروف المرأة فى المجتمع المعاصر ، واقتراحات جادة للتحسين من وضعها باستلهام العبرة من الفترة المضيئة فى التاريخ البشرى الذى حددت مفاهيم تليق بالانسان وتعمق احترام ذاتيته المتفردة ٠

وكان للدكتورة ـ ايفادى فيترى ماروفيتش ـ وهى استاذة بكلية البنات بجامعة الازهر ، وعضوة المركز الوطنى للبحث العلمى بباريس ، دور فى ايضاح نقطة قانونية مهمة فى محاضرتها ـ المرأة المسلمة والفرنسية أمام القانون ـ بينت من خلالها تفصيلات تؤكد تقدمية القانون الاسلامى بالمقارنة مع القوانين الوضعية الاخرى ، الامر الذى أكده الاستاذ الاكحل بن حواء ـ بقدر ما ـ وهو محام جزائرى ـ فى محاضرته ـ مقارنة بين تزويج المرأة فى الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ـ ٠

وإجمالا يمكن القول ان هذه النقطة ـ أعنى بند المرأة ـ قد حظيت بحوار طويل متصل ومتشعب يتسم بالحدة أحيانا والجدية الهادئة حينا ، لكن الامر المتفق عليه انه كان التقاء بين افكار متخالفة ومتضاربة دفع بالفكرة الاسلم الى البقاء والصمود بالرغم من اصرار بعض المفكرين الاسلاميين التقليديين على رؤية الامور من زاوية محصورة غير بعيدة المدى ٠

وبعد توالى الحوار أربعة أيام متوالية فى هذا البند كان البند الاخير المتصل بالطاقة ومستخرجات الارض وكيفية استغلالها ، والمتمثل فى التساؤل ٠٠٠ هل بطون الارض نعمة أم نقمة ؟ ٠٠٠ هو أقل البنود من حيث عدد المحاضرات،حيث القيت أربع محاضرات كان من أبرزها محاضرة الدكتور ـ داود كاون ـ وهو استاذ فى قسم الشرق الادنى والاوسط بمعهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن ـ ذات عنوان ـ «الانسان خليفة الله فى الارض» ناقش من خلالها امر الاستخلاف الالهى والغرض من الوجود ، والطرق التى تحدد استعمال الانسان للاغراض الحياتية لتحقيق الخير على الارض ، وأوضح مدى المسؤولية البشرية فى التحكم فى خيرات الارض وتوجيهها نحو خير الشعوب ، وندد بكل الاحتكارات وسلب الخيرات التى تمارسها الدول الاستعمارية ، وأوضح أن هذا ليس فقط مخالفة للاتفاقيات الانسانية المعقودة ، وانما هو مخالفة للنواميس الحياتية المقررة منذ بدء الخليقة ٠

وقد احدثت محاضرة الدكتور صلاح الصاوى ، وهو استاذ بكلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة طهران ـ نقاشا طويلا وحادا حيث اعتمد الدكتور الصاوى أسلوبا خاصا جدا فى التعرض الى مشكلة الطاقة ، فاستهلك ثلاثة أرباع المحاضرة فى المقدمة التى كانت تفسيرا صوفيا لسورة الرحمن ، وقد كان تفسيره ـ برغم بداعته وجودته ومقدرته على التعامل مع الكلمات ـ غير واضح العلاقة مع الموضوع المطروح فى اذهان الكثيرين مما أدى الى معركة كلامية حادة بينه وبين بعض الاساتذة وعلى رأسهم الدكتور بشير التركى المتخصص فى شؤون الذرة (تونس) ٠

وقد اختتم الملتقى أعماله بكلمة الاخ مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية الذى أعلن أن الملتقى الثانى عشر سيعقد ـ ان شاء الله ـ

فى مدينة ـ باتنة ـ فى الشرق الجزائرى فى صيف العام القادم ، وذلك بعد تلاوة التوصيات الخاصة بهذا المؤتمر والتى أكدت على أهمية العمل على ربط مفاهيم الاسلام بواقع الحياة وظروفها لدى المواطنين الافارقة ، وعلى الاهتمام الكامل بتعليم المرأة على كل المستويات وخاطبت المجتمعات العربية والاسلامية التخفيف من قيودها لتمكين المرأة من ممارسة حقوقها ـ المقررة لها فى القوانين ـ بشكل عملى ، كما أكدت فيما يخص البند الاخير على ان الثروات الباطنية وخاصة النفط لعبت ولا تزال تلعب دورا حيويا فى انشاء المشاريع وتقديم الخدمات الاجتماعية والعمران والاقتصاد الانتاجى مما رفع مستوى الحياة الانسانية ، وعلينا ان نأخذ بعين الاعتبار الجوانب السلبية ، والتى حركت أطماع الغرب المتمثلة فى النفوذ الاجنبى وضرب الاقتصاد الوطنى وشل حركات النهوض وتزييف الحكم السياسى وخلق ركائز احتكارية مضادة لحركات نهوض الشعوب ، وناهيك أن فلسطين المحتلة والصحراء الغربية هما ضحيتان لضمان بقاء المصالح الاجنبية فى الاقطار الاسلامية واستغلال ثرواتها .

وأكدت التوصيات أيضا على أن البلاد العربية والاسلامية يجب أن تأخذ نصيبها الكافى من النفط لاستثماره داخل بلدانها فى التصنيع والزراعة مما يحد من حرية الاقليات فى استغلال ثروات الشعوب .

وبعد ...

فقد كان الملتقى تظاهرة فكرية صحية أكدت مقدرة الفكر الاسلامى على الصمود أمام كل التحديات التى يواجهها سواء من المستشرقين المغرضين أو من المفكرين الرجعيين الذين يحتمون بتفاسيرهم الخاصة للقضايا الفكرية التقدمية العظيمة التى يطرحها الاسلام أثبت الملتقى أن هناك خطرا حقيقيا يواجهه الاسلام لا يمكن القضاء عليه الا من خلال مقارعة الحجة بالحجة فى منبر حر ، لا يتيح الفرصة للحواة والمشعوذين فى السيطرة ... وانما يبقى فى النهاية الفكر الاسلامى الصحيح وحده .

انطبـــاعـــات جزائـــرية[1]

فاطمة هـين سـيركا

المركز الثقافي الاسلامى ـ ميونيخ ـ
ـ جمهورية المـانيا الاتحادية ـ



ان قضاء أسبوع فى بلد ما لا يعنى طبعا أن المـرء يعرفه ، الا ان ذلك يبدو كما لو ان المرء قد سار وئيد الخطو متشوقا عبر حديقة غريبة ، يتامل ازهارهـــا المتنوعة فى دهشة ، وهو لا يعلـم ما اذا كان لهـذه الزهرة شوك أو هو لتنلك ، وما اذا كانت تلك الزهرة البديعة الحمراء تضوع حقا أم ان تلك الزهرة الصغيرة اللطيفة المستورة هى التى تنشر شذاها وسط العشب الاخضر الذى يحميها • ساحاول أن اصف الازهـــار التى تـراءت لى فى شهـر فبـراير أثنـاء الايام التى قضيتـــها فى الجـزائـر •

وكان الباعث على السفـر هو الملتـــقى الحادى عشر للفكر الاسلامى ، الـــذى أقيـم فى مدينـة ورقلة ، وهى واحـــة تقع فى سط الصحـــراء على بعـــد ستمائـة كيلومتر من مدينة الجزائر • وقد لا يشرفنى ان أعترف انى لم أكن فى الواقع أعرف شيئا عن هذا الملتقى واذا استثنيت مقالا قصيرا صدر فى مجلة امريكية عن المؤتمـــر العاشر فانى لم اسمع شيئا عن الطريقة التى يتم بها هذا الملتقى السنوى الجزائرى • ومع ذلك اود ان اقطف الزهور المتنوعة على الترتيب •

وكانت الزهـرةالاولى بالنسبـة الى ان التحية وجهت الينـا فى الطائـرة النفـاثة التابعة للخطوط الجوية الجزائرية ـ التى كان طاقمها فى غاية اللطف ـ باللغة العربية

(I) كتبت هذه الانطباعات بعد مشاركتها فى الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى بورقلة

ثم بالفرنسية • ومن كان يتصور ان الرغبة فى كل ما هو غربى سوف تـزداد بنـاء على معايير التجربة الانسانية العادية ، فانه سيغير رأيه ها هنا منذ الوهلة الاولى • فقد كان يجابهنا فى كل مكان ذلك الوعى العربى الاصيل ، الذى لا يرى طبعا ضرورة لانكار حصته من الثقافة الفرنسية الاوروبية •

وكانت الامسية الاولى بمدينة الجزائر شبيهة بباقة زهر كاملة • فقد كان صديـق لزوجى ، وكان فى السابق طالبا ، زارنا فى المانيا مرات قليلة ، فى انتظارى بالمطـار حوالى الثامنة ليلا • وحملت فى سيارة أستاذ شاب فى الرياضيات ، كان يرتـدى قشابة خشنة ، تتميز بها الجزائر ، الى بيت مضيفى • ولكـم كانت أسرتـه لطيفة ! لقد كان هناك حوالى ثلاثين شخصا ، فرحوا بوجودى بينهم ، واجتمعنا فى حفلة عائلية حول خروف مشوى ، يحيط به عدد من الاكلات الشرقية اللذيذة ، ونحن نتجاذب أطراف الحديث • وكان على أن أتحدث عن الاسلام فى المانيا وعن أناسنا وأعمالنـا • وقد عرفت ـ ورأيت ذلك بنفسى فيما بعد ـ أن هناك كلية اسلامية كبيرة فى مدينة الجزائر ، يوشك بناؤها على الانتهاء ، وأن هناك بين الطلبة جماعات ، تمارس الفروض الاسلامية بجد وعزم •

وكنت مهمومة ، لانه كان على أن أسافر فى صبيحة اليوم التالى باكرا الى ورقلة ، ولذلك استأذنت فى الانصراف بعد العشاء بفترة قصيرة ، فلم يستأ أحد لذلك ، وودعت أسرة ، يمكننى ان اقول عنها بعد ساعات قليلة انى احبها كما احب اسرتى •

وقضيت ليلة مريحة فوق كنبة حقيقية • وكانت الغرفة مزودة بكنبات على امتداد جدرانها ، تصلح أن تكون مبيتا لقافلة صغـيرة ! وامامها موائد خشبية صغـيرة ، بها زخارف بيضاء بديعة ، ومخدات جلدية كبـيرة • وقد جعل لها خلوهـا من الاثـاث الاوروبى العادى جوا خاصا ، حتى المكتب المجاور لها كان شرقيا : كانت الكراسى والمكتب والدواليب مصنوعة من الخشب المنحوت بصورة جيدة ، وهكذا اجتمع فيها ما ينفع ويمتع العين فى آن واحد •

واتجهنا فى اليوم التالى الى المطار قبل طلوع الشمس • وكنا فى الطـريق نـرى أشباحا مقنعة ، تمضى سرعة الى العمل ، ومن بينها عدد كبير من النساء اللواتى كن

يرتدين عباءات بيضاء وأقنعة مثلثة تنتهى تحت عيونهن ، وليست هذه الالبســة مقصورة على النساء البسيطات ، فقد التقيت فى الطائرة بنساء يرتدين هذا اللباس . وقد أعجبنى فى ذلك بصورة خاصة أن الرجال كانوا مهتمين بزوجاتهم كل الاهتمام ، وكانوا يظهرون بمظهر الرجل الاصيل الشهم لا بمظهر الرجل المالك لزوجته الـذى يبدو وكأن الامر لا يهمه .

وكانت الرحلة الى الصحراء بالطائرة تجربة لا تنسى . فبعد ان اجتزنا السهـل الواقع بين الساحل وجبال الاطلس بأبسطته المزركشة ، التى تتكون من الحقــول الخضراء والسمراء وبساتين النخيل والمنازل التى تتوسطها ، شاهدنا الشمـس تشرق من قمم الجبال فى روعة وتنشر أشعتها الذهبية فوق وهاد عديدة بكل قراهــا ومزارع كرومها . وكان فى وسع المرء أن يحلم ... لكم سيكون جميلا لو استطـاع ان يسير عبر الطرق الملتوية ويتوغل فى الجبال الى أن يصل الى ابعد قرى المنطقــة عزلة ، ولكنه كان يحلق فوق ذلك كله ويتصور كيف ان النساء يهيئن الآن طعـام الفطور فى البيوت الصغيرة تحته وان الاطفال قد يكونون فى طريقهم الى المدرسـة ، وبدأوا يوما جديدا من ايام حياتهم المهمة بالنسبة لهم ، التى تبدو من هذا العلــو بعيدة بعدا لا حد له وغير حقيقية .

كانت الجبال تضمحل من دقيقة الى أخرى ، فتتحول الى كثبان رملية ، تتخللهـا مجارى الوديان الجافة ، ومع ذلك يرفع النخل سفعاته بها من حين لآخر ، ونادرا ما كان المرء يرى هناك بقعا صغيرة خضراء ، مما جعله يتساءل عما اذا كان هنــاك أناس يستطيعون العيش فيها وما اذا الله لم يخلق تلك البقع الصغيرة فى هذه العـزلـة اللا متناهية الا للرعاة المتنقلين . وبعد حوالى ساعة تراءى لنا فى جو الصباح الغائم فجأة سهل ، تحده تلال ، وتتوسطه بحيرة كبيرة شديدة الزرقة ، انها الواحــة ! كانت ترسل فى اتجاه الطائرة الهابطة نخلات منعزلة كأنها مراكز أمامية ، فيتعجب المرء كيف يمكنها أن تنمو فى الرمال السمراء . ومن الجهة الاخرى للبحيرة كانــت غابات النخيل ترسل تحياتها من بعيد . وبينها بيوت مصغرة ذات سقوف مسطحة واحة لا يكاد المرء ان يتصورها اكثر شاعرية من هذا البعد . وحين كانت الطائــرة

تسير بمحركاتها الصارخة فوق ارض المطار المبلطة ، تنقلت عينى فوق الارض الرملية وفوق مسجد صغير ، كأنه ينتصب هناك للترحيب بالقادمين • ترى من بناه هناك ، ومن يقطع المسافة الطويلة على ظهر حماره ليصلى فيه صلاة الجمعة ؟

ومن المطار انطلقت بنا السيارة فوق طريق مستقيم نحو ورقلة ، وكانت تسير بسرعة فائقة ، تجعل المرء يتصور انها توشك ان ترتفع فى الجو • ان المدينة لتعتبر بهجة العين بالنسبة للأوروبى : ليس فيها دور عالية اقيمت فى مكان غير مناسب ، فالبنايات كلها تبدو وكأنها قد خرجت من الارض بصورة متسقة ـ قد يكون بعضها سيء المنظر ، هذا وصف يمكن ان نطلقه عليها ، ولكنها متلاصقة بصفة طبيعية ، يحتمى بعضها ببعض فى منطقة رائعة ولكنها قاسية لا تعرف الرحمة هنا فى هذا الملجا الذى انعم عليه بما يكفى من المياه لسكانه البالغ عددهم ثلاثين الف نسمة •

ولم اكد انفض عنى غبار السفر فى فندق **ترانزاتلانتيك** ، الذى يختفى بين أشجار السنط والنخيل العالية ، بحيث لا يكاد المرء يصدق ان له طابقين ، حتى حملت فى سيارة كانت تنتظرنى الى قاعة الملتقى ، الذى كان قد بدأ فى يوم الاحد 6 فبراير ،وكان اليوم يوم سبت ، 12 فبراير ، ولم أكن اعرف ماذا ينتظرنى لان برنامج الملتقى لم يصلنى قبل مغادرتى لالمانيا • لقد فاتتنى النقطتان الاوليتان من البرنامج ، وذلك وحده جعلنى اكتشف فى حسرة ان ثقافة الدولة الرستمية وأثرها فى المغرب والاندلس قد عولجت ، كما تبين لى من البرنامج ،ومن طرف أساتذة ومؤرخين من الجزائر ووهران ، من ميشغان وبرفستون ، من هارفارد،ومدريد،وفارسوفيا • أما موضوع « الاسلام فى افريقيا اليوم » فقد تحدث عنه اساتذة من ايدنبورغ والرياض،وميلبورن،والقاهرة،ودكار • وبالاضافة الى ذلك كانت قد نظمت فى يوم الخميس رحلة الى الواحتين المجاورتين حاسى مسعود وتقرت ، وتمت الى جانب مشاهدة أكبر مصانع النفط فى البلاد زيارة المؤسسات الثقافية بصورة خاصة مثل ضريح الملوك والمسجد القديم الجميل كما اقيمت للضيوف حفلة عشاء متميزة تحت اشجار النخيل •

وكانت المناقشات متواصلة فى قاعة الملتقى ، وهى قاعة سينما مبنية على الطراز المحلى ، لها برج مربع فى الخارج وأقواس وحنايا فى الداخل . وعندئذ فقط بدأت ادرك معنى هذا الملتقى ، فهو لا يقام من اجل الدعاية للجزائر ولا من أجل جمع عدد من الشخصيات الكبيرة لالقاء الخطب الرنانة واجراء الاحاديث الشيقة بعيدا عن الرأى العام الى حد كبير ، وانما يقام هذا الملتقى السنوى لفائدة حوالى ألف شخص من الطلاب والمعلمين الذين يأتون من مختلف انحاء البلاد . وهذا يمكنهم ، وهم نخبة المستقبل ، من ان ينموا الافكار التى كونوها بأنفسهم عن الاسلام على ضوء ما يقوله العلماء المسلمون وغير المسلمين من جميع انحاء العالم حول هذا الموضوع .

ولم يكن من المسموح به ان تتجاوز المحاضرة الواحدة نصف ساعة ، بينما خصص للمناقشات ما يكفى من الوقت ، فيلقى الطلبة اسئلتهم على المحاضرين بصورة منتظمة ، فيجيبون عليها فى الوقت نفسه أو فى اليوم التالى ويوضحون ما غمض من جوانب المسائل المثارة ، فينشأ عن ذلك حوار حى ، يستفيد منه مربو الاجيال المسلمة القادمة بشكل حقيقى . ولا يقدم لهم الاساتذة المسلمون الاتقياء فحسب ، الذين يرددون الاشياء نفسها على الدوام ، بحيث ينام المستمعون على الترتيب ، وانما تحدد الموضوعات بدقة ، ويجب على المشارك أن يوجز كلامه ، وقد اشيع فى العالم الاسلامى منذ فترة طويلة ان مستوى هذا الملتقى يحتم على الانسان ان يقدم شيئا حقيقيا والا يضيع فى العموميات . ان ذلك ليشبه « الصحة المعدية » : اذا لم يكن للمرء ما يقوله ، فانه يشعر بذلك غريزيا ويفضل ان يصمت .

وانه لمن المفيد بصورة خاصة ، فيما يبدو لى ، أن يكون غير المسلمين قد سمح لهم بالحديث فى هذا الملتقى . فاذا اراد الانسان ان يتسلح للمستقبل ، فانه لا يستطيع أن يعتزل بقية الناس ، اذ أن عليه ان يكون قادرا على تمحيص آراء الآخرين ، فيأخذ منها ما يراه صالحا له ويتعلم كيف يتجنب ما ليس صالحا له .

والى جانب ذلك فان الملتقى تنتج عنه ظواهر مرغوب فيها ، وهى ان على غير المسلمين ، الذين لهم بحكم مهنهم ما يقولونه عن الاسلام ، ان يستمعوا ضرورة الى آراء المسلمين . فعن طريق دعوة المسلمين من جميع انحاء العالم ـ فقد جاءوا من

اليابان،والسويد ، من بولونيا،وكازخستان ، ومن استراليا،ومورتيوس ـ يتعرف المرء على الافكار والمشاكل التى توجد فى مكان آخر • ونظرا الى أن الملتقيات تقـــام فى أغلب الاحيان خارج المدن الكبرى ، فان الطلبة والمعلمين يتعرفون على مناطـــق أخرى من وطنهم ، والا فمن يفكر يا ترى فى القيام برحلة الى الصحراء• ومع ذلك يوجد هناك أيضا الكثير مما يقوى الوعى الطبيعى بالذات •

وكان بعض الطلبة ، الذين كانوا ضيوف وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ولم يدفعوا سوى خمسين دينارا (وهى لا تزيد عن خمسة عشر ماركا) وكانـــوا يقيمون بمدرسة ثانوية فى ورقلة ـ كان بعضهم يدعى لتناول الطعام عند بعض الاسر فى المدينة • ان هذه الاتصالات الشخصية بين الشبان المتفتحين وبين أهالى المنطقة ، وهذا التعارف المتبادل ، قد ساعدا على تمتين روابط الوطنية والتماسك الروحى ، واقامة صداقات ، لا شك انها ستعيش طويلا بعد انتهاء الملتقى •

وكان النظام يسود الملتقى بصورة تدعو الى الاعجاب • كانت الحافلات الواقفة أمام الفندق تبدأ فى استعمال آلات التنبيه أيام الجلسات فى وقت مبكر ، وكانت المناقشات تستأنف فى كل مرة فى الساعة الثامنة بالتدقيق ، وتبـدأ فى الرابعة المحـاضرات المسائية • ويحيى الاساتذة القادمون من الفنادق من طرف الطلبـة والمعلمين النشيطـين بمجرد أن يدخلوا قاعة الاجتماعات • وقد تركت رئاسة الجلسات وادارة المناقشـات والاشراف عليها بحيث لا يتجاوز أحد الوقت المقرر له ، لشبان حازمين ، لا يتورعون حتى عن تنبيه وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، الذى كان يحضـر الجلسـات بصفة دائمة ، عند ما يوشك ان يستأثر بالكلمة لنفسه لفترة طويلة•(1) وبما ان الوزير كان قد قدم على ذلك مثلا طيبا ، فكان يتنقل مع المدعوين بالحافلـة ، ويتناول الطعـام معهم ، ولم يكن يتخلف حتى عن المناقشات المحضة ، فان روح هذا النظام الطبيعى قد عمت جميع الحاضرين بشكل طبيعى ودون ان يلفت انتباههم الى ذلك بصـــورة مستمـــرة •

ولنعد الآن الى الحـديث عن الملتقى نفسه • لقد كرس معظـم الوقت لموضوع المرأة المتفجر « المـرأة فى عام ما بعد (عام المرأة) » ، وكان اليوم الثـالث فى برنـــامج

(1) فى الواقع انه ، عدا كلمتى الافتتاح والاختتام ، لم يتناول الكلمة الا مرتين اثنتين لا اكثر ، لحفظ النظام فى القاعة اثر بعض الخلافات الحادة بين الملتقين • وكان قد وصى رؤساء الجلسات الذين كانوا كلهم من موظفى الوزارة ان يذكروه بنفس الحزم بالوقت المحدد للجميع فى الملتقى ، وبالتالى معه ايضا طبعا ، والا فلا يستحقون صفة المسؤولية •

الملتقى · وقد فاتتنى ـ للاسف ـ محاضرة الدكتورة سيغريد هونكه عن « المرأة العربية فى بداية الاسلام وكيف نطورت » · وقد حظيت المحاضرة باهتمام كبير ، بحيث انه لم يكن من الممكن الحصول على نسخة منها بالفرنسية ، رغم ان المحاضرات كلها تقريبا كان قد وزع منها فى البداية عدد كبير من النسخ بالعربية وبالفرنسية ، وكان فى وسع المستمعين ان يستمعوا أيضا بواسطة سماعات الى ترجمة فورية بالعربية والفرنسية والانجليزية · وكانت السيدة هونكه ، التى ساهمت مساهمة هامة فى رجوع الشعب الجزائرى الى تراثه الثقافى بواسطة كتابها « شمس الله تسطع على الغرب » وعن طريق عدد من المحاضرات التى القتها فى مناطق مختلفة من الجزائر ، ـ كانت قد دعيت للقيام بعد الملتقى برحلة فى مناطق الجزائر النائية ، حيث ينتظر الناس وصولها باهتمام كبير ·

وكان قد تعاقب قبلها على المنصة مؤلفات فرنسيات واستاذات وأساتذة من دينفر، والجزائر، ولاهور، والخرطوم، والقاهرة . وتحدث بعدها علماء من تونس، وفارصوفيا، واسطنبول، وانقرة، وطرابلس، ونابلى، ودمشق ، ومن طوكيو أيضا · ونظرا لكثرة المحاضرين ـ وكان عدد المدرجين فى البرنامج بغض النظر عن العديد من الخطباء والمرتجلين تسعة وثلاثين سيدا وسيدة ـ فليس فى الامكان تقديم أكثر من خلاصة موجزة · على المرأة فى العالم الاسلامى ان تطالب بحقوقها اليوم ، وينبغى أن تكون حريتها فى استخدام مواهبها فى سبيل الصالح العام ، ما دامت غير متزوجة أو ليس لها اطفال ، تقع مسؤوليتهم عليها بالدرجة الاولى بطبيعة الحال ، الا انه لابد ان يوفر عليها بواسطة تربيتها ووعيها الذاتى بجذورها الثقافية والفكرية الخاصة سلوك ذلك الطريق المؤلم الذى سلكته أخواتهن فى الشرق والغرب فى منافسته الشخصية للرجل · وكما قال الوزير مولود قاسم نايت بلقاسم يخاطب النساء : « لا تقصصن للرجل شنبا ، لتنسجن منه قرنبا ، او تفتلن منه ذنبا ، ولا تجعلن من كرامته كنبا ، او تحسبنها عنبا ! » فانه لا بد ان يكون هناك احترام متبادل وحياة متكافئة متكاملة ، يبنى عليها مستقبل افضل واكثر عدالة ·

وتحدث عن النقطة الاخيرة فى برنامج الملتقى ، وهى هل الثروة المعدنية نعمه أو نقمة ، أساتذة من الجزائر، وطهران، وجاكرتا، ولندن · وقد حذر الوزير نايت بلقاسم

فى كلمته الختامية حول هذا الموضوع من استغلال ما يستخرج من الارض فى جانب واحد ، ذلك لانه لا يضمن الاستقلال المطلوب لبلاده فلا بد ان يهتم ايضا وفى الوقت نفسه بالفلاحة ، والتجارة ، والصناعة ، وصناعة النسيج •

وبين هاتين النقطتين من نقط الملتقى تمت رحلة الى غرداية ونواحيها ، تركت فى نفسى أجمل الاثر • كان الطلبة والاساتذة والضيوف ومنظمو الملتقى قد أخذوا مقاعدهم بالحافلات فى حوالى السادسة صباحا وفى الموعد المحدد بالضبط • وعندما ارتفعت الشمس فى الافق كنا قد تركنا ورقلة وراءنا بمسافة طويلة واصبحنا فوق الطريق المستقيم المتجه الى الغرب وسط الصحراء الواسعة ، الذى كان يصعد التلال مرة وينحدر فيها مرة أخرى • وما كادت كرة الشمس الملتهبة تشرق فوق الكثبان الرملية ، حتى ارتفع فى حافلتنا صوت رخيم ، ولكنه قوى ، يجود القرآن وبدا الزمن كأنه فد توقف ، لقد ابتلع كلام الله كل شيء •

وتواصلت الرحلة عبر الصحراء ، وكنا نمر بأدغال صغيرة من العشب ، وترى من حين لآخر لافتة تحتوى على صورة جمل كما تحتوى اللافتات عندنا على صور البقر ••• وكان ظل الحافلة يلقى بشكل منحن فوق الرمال ، بحيث كان يبدو اكثر علوا منه عرضا وهو يسرع فوق العجلات الكبيرة المستديرة • وحين يلتفت المرء خلفه يشاهد أكثر من عشرين حافلة تفصلها عن بعضها مسافات متساوية • كان الموكب المزود بالمحركات يسير كالقافلة خلف شرطيين فوق دراجات نارية ، كانا يستديران من حين لآخر فى مرح ثم يواصلان السير • وفى بعض الاحيان كنا نرى فى الافق حفارة من حفارات النفط ، وقربها مجموعة من المراجل الكبيرة البيضاء ، كانت تبدو صغيرة عن بعد الى درجة انها لا تسيء الى المنظر • وبعد ان استغرقت السفرة ساعتين لاحت عندئذ أولى علامات الحياة : لقد اكتسبت الادغال ، التى كانت قبل خضراء ، فجأة براعم زرقاء ، واصبح فى وسعنا ان نرى واحة غرداية عن بعد • ولم نشعر بطول السفرة ، لان المسمع كان يتنقل بين المسافرين ، الذين كانوا يروون لنا قصصا تارة ويحدثوننا عن المنطقة أو ينشدون اشعارا جميلةالايقاع تارة اخرى • وقبل ان نصل الى غرداية توقفت حافلاتنا أمام مصنع كبير ، أقيم بمهارة خلف تل

بعيدا عن مجال الرؤية • وفيه تصنع الانابيب ، ويكاد يشعر بالخوف من لم ير آلات بهذا الحجم.ولكى تنزع عن الزيارة « جديتها الحيوانية » ، كان هناك برابرة سعود ، يرتدون البسة ملونة أو بيضاء ، أخذوا يديرون بنادقهم الواسعة فوق رؤوسهم ، ويقدمون نوعا من الرقص الحربى على نغمات الطبل والناى • وفجأة انحنت جميع البنادق وانطلقت منها النيران دفعة واحدة بصوت يصم الآذان ، فأثارت سحابة كثيفة من الدخان • وتكرر ذلك حوالى عشر مرات اثناء مشاهدة اقسام المصنع ، الذى ختمت زيارتنا له بتناول مشروبات منعشة •

وبعد ذلك تحركت الحافلات نحو خزان للمياه فى الجانب الآخر من غرداية • وكما يحدث فى قصة من قصص الف ليلة وليلة تركنا مدينة الواحة الواقعة فوق تل عن يسارنا ، وتسربنا عبر الوهاد ، مارين بقرية متهدمة تحت النخيل ، ووصلنا الى منخفض ، لا يكاد المرء يتصور ان المياه تغطيه فى موسم المطر • وتحصر المياه فى ممرات أرضية متينة وتنقل من الجانب الآخر للسد الى بساتين السكان بواسطة قنوات • وقد شرح شيخ أبيض اللحية للزوار المهتمين بالامر بالعربية والفرنسية نظام الرى الذى يدل على عبقرية مخترعيه •

وتبعت ذلك جولة فى مدينة غرداية بسوقها الكبير وازقتها الضيقة ومسجدها العتيق • وفى النهاية اجتمع الزوار البالغ عددهم ألفا ومائتين فى فندق الرستميين لتناول طعام الغداء • وكان لهذا الفندق أروقة كثيرة واسعة ، جعلته كبيرا ومريحا فى آن واحد • فرغم أن الجالسين فى الرواق الواحد لم يكن عددهم يتجاوز فى الواقع المائة ، فان الاعمدة الفاصلة تجعل الانسان يتصور انه جالس مع مجموعة صغيرة من الناس • ان قضاء عطلة فى فندق من هذا النوع ستكون ممتعة ولا شك !

ومع ذلك لم تبلغ نزهتنا ذروتها الا فى فترة ما بعد الظهر عندما ذهبنا لزيارة بنى يزقن ، وهم قبيلة فرضت على نفسها حياة بسيطة شريفة طبقا للتعاليم الاسلامية • فقد استقروا فى حى خاص من أحياء المدينة ، حيث يعيشون فى منازلهم البسيطة النظيفة ذات السقوف المسطحة ، وهم يرسمون أسعار جميع البضائع التى تحتوى عليها دكاكينهم • ومسجدهم اجمل مكان فى الارض يمكننى ان اتصوره •

وقادنا الدليل عبر أزقة نظيفة ضيقة ، اصطف على جانبيها شيوخ ذوو ألبسة بيضاء ولحى خطها الشيب وراحوا ينظرون الى سيل الزوار مبتسمين فى طيبة ووقار ، وبلغنا فناء المسجد المعتم ، الذى يقع فوق تل مرتفع • ويتكون المسجد من أماكن ، تفصل بينها أعمدة ، وتوجد بها سلالم ، يقرب ارتفاعها من نصف متر ، ويمتد بشكل نصف دائرى الى مسافة بعيدة ، بحيث ان المرء لا يسعه الا ان يتصور الاماكن الخلفية المخصصة للنساء ، لان الدهان الازرق الفاتح جعل ذلك كله تسوده نصف عتمة • وكان الشيوخ جالسين بألبستهم البيضاء فى الزوايا الكثيرة ، وقد جلس بينهم أيضا عدد من الشبان يرتدون أيضا ألبسة بيضاء • أما الرجال من ذوى الاعمار المتوسطة فلا يكاد المرء يرى أثرا لهم • لقد كان لهذا المسجد المنخفض البسيط المؤثر سحر ، يجعل الانسان يود من كل قلبه الا يفارقه أبدا • وهذا السحر لا يزايل أيضا المكتبة ، التى قادنا اليها الدليل بعد ذلك مباشرة ، حتى ولو تكاثر عليه الناظرون • كانت النفائس ، التى تجمعت خلال أجيال وأجيال ، محفوظة خلف أبواب زجاجية ، وقد كتبت عناوينها بخطوط جميلة •

وكنت أثناء شراء التحف التذكارية قبل مواصلة السفر فى حاجة الى ربع ساعة من الوقت لاقنع التاجر بفرنسيتى الضعيفة بأنه قد أنقص من المبلغ المطلوب منى عشرين دينارا ـ وعندما اقتنع بذلك أخيرا كانت الحافلة التى اخذت بها مكانى ، قد انطلقت • مع ذلك : لا بأس ، لا بأس ، واخذت مكانى فى سيارة خاصة ، مرت بى صدفة ، ووصلت العطف بعد وصول الحافلة بفترة قصيرة • وحاولت أن أقدم لسائق السيارة ، الذى كان لطيفا معى ، بضعة دنانير ليشترى بها الحلوى لاطفاله ، ولكنه رفض باصرار • وفى العطف دعينا الى منزل الشيخ سليمان داود بن يوسف حيث أقيمت حفلة زفاف • وقد أرتنا ، نحن الزائرات ، العروس الفاتنة الخجول مخدعها الزوجى وهى فخورة بذلك ، وشربنا الشاى مع ربة البيت اللطيفة • وجلست قربى فتاة جميلة ، تتكلم الالمانية بصورة جيدة ، وقد سبق لها ان زارت المانيا ، وحدثتنى كذلك عن مراسم الزواج ، وترك اهتمامها بى اثرا فى نفسى

وفى المساء أخذنا من جديد أماكننا فى الحافلة وأسرعنا بالعودة الى ورقلة • وكان الشيخ اليمنى ، الذى حظى بحب الجميع ، وهو شاعر عبقرى ، يرتدى لباسا ملونا ، وبحزامه الملون خنجر عريض ، كان هذا الشيخ يقرأ شعرا يمدح به غرداية وبنى يزقن والعطف ومضيفينا • وبذلك انتهى يوم لا ينسى •

وفى الحفلة الختامية ، التى تمت يوم الثلاثاء 15 فبراير ، حاول كل واحد أن يعرب عن شكره مرة أخرى قدر المستطاع ، فتحدث محمد اليابانى مدة طويلة باللغة العربية ، لانه كان قد درس فى جامعة الازهر • وحين أنهى الوزير كلمة الوداع ، ضج الطلبة والمعلمون بالهتاف والتصفيق معربين عن شكرهم بصورة غير محدودة • انه شكر موجه الى رجل ، ليس عضوا من أعضاء الحكومة ومنظم هذا الملتقى فقط ، وانما هو الى ذلك أخ لكل منا فى الدين •

كان شعار الملتقى : « **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** » (سورة 12 ، آية 11) • ويبدو ان الجزائريين يأخذون هذا مأخذ الجد • فقد أتيح لى فى اليوم الذى اقمته قبل عودتى بالعاصمة الجزائرية أن أشاهد مصنعا يعمل به خمسون عاملا • ان منظره الخارجى قد لا يضاهى منظر المصانع الالمانية ، ولكن صاحبها قال لى : « انى لافضل أن أقدم المال لعمالى على أن أقدمه للدهانين • فانا أقدم لهم علاوات بمناسبة الاعياد الاسلامية خمس مرات في السنة ، ولا يعملون في رمضان أكثر من ست ساعات ، ولديهم ألبسة العمل كما ان لديهم هنا مغسلا ومصلى » • وقد سمعت بنفسى كيف يتكلم العمال مع رئيسهم • فهم لا يخضعون له ولا يخافونه ، وانما يتكلمون معه كصديق يستطيعون أن يبوحوا له بهمومهم •

من المؤكد ان المصانع فى الجزائر لا تسير كلها بهذه الطريقة المثلى • الا ان وجود مثل هذه المشاريع تشجع المرء وتحمله على التطلع الى المستقبل •

السلام عليك ـ اينتها الجزائر الجميلة بأناسك اللطفاء ، بقصبتك الشرقية المثيرة ، وبخيوطك الهاتفية المباشرة مع المانيا ، بساقك الواحدة التى تنغرز فى الماضى،وبساقك الاخرى التى تخطو نحو المستقبل فى اطمئنان •

ورجـــلان الجزائــرية

نعـيش أيــامــا اســلاميــة حافلـــة (*)

مقابلة مع د. عبد الحليم عويس

أجرى الحديث : خالد الرجيحى



مائة مفكر اتوا من سائر اقطار الارض ... مــن اسبانيا،ومن انجليترا، ومن أمريكا،ومن فرنسا،ومن المانيا، ومن اليابان، ومن اقطار افريقيا المختلفة، ومن بولونيا، ومن أستراليا،ومن ايطاليا ... من هذه البلدان وغيرها توافد عشرات المفكرين الذين اختلفت اهواؤهم ونزعاتهم بين مسلم سلفى، وشيعى، ونصرانى، ولا دينى، ويهودى .

جاء هؤلاء جميعا يتبارزون حول نقاط اربع :

- **دور الرستميين (بنو رستم) فى حضارة المغرب العربى .**
- **الاسلام فى افريقيا اليوم .**
- **المرأة بعد عام المرأة .**
- **هــل بطون الارض نعمـــة أم نقمـــة ؟**

وبالطبع ففى ظل حشد مختلف التكوين والفكر على هذا النحو كان لابد ان يكون الحوار ساخنا،وقويا، ونحن نستطيع ان نسبق العرض لنعلن ان الفكر الاسلامى قد خرج ـ وهو يخرج دائما ـ ظافرا منتصرا . ومن الغريب ان الله سبحانه وتعالى قد قيض وهيأ للاسلام من بين النصارى والعلمانيين انفسهم مؤيدين ومناصرين لدرجـة

(*) نشر بجريدة : « الجزيرة » السعودية بتاريخ 26 فبراير 1977 .

ان احد الاعضاء-وهو الاستاذ عبد الحليم عويـــس الذى وافقت جامعة الامام محمد ابن سعود مشكورة على ايفاده لحضور هذا الملتقى ـ قد اعلن ان محاضرة الدكتـــور شارل ل · ڤيدز استاذ ومدير المعهد الامريكى للدراسات الاسلامية بجامعة دانفير ـ كولورادو ـ (الولايات المتحدة الامريكية) والتى كانت عن ـ دور المرأة فى مجتمع اليوم ـ هى خلاصة وجهة النظر الاسلامية مع ان هذا المحاضر الامريكى لا زال نصرانيا وقد اجاب الاستاذ عويس عن سؤال وجهه له عن دينه بانه فقط نصف مسيحى ويبدو انه يفكر جديا فى اعتناق الاسلام ·

فى عشرة أيام تبدأ من يوم الاحد 17 صفر (6 فبراير) وتنتهى فى يوم الثـــلاثاء 26 صفر (15 فبراير) استمع هؤلاء العلماء ومن خلفهم الف طالب وطالبة فى المراحل الدراسية العليا ومئات من أهالى مدينة (ورجلان) التى عقد فيها الملتقى وكثيرون من ممثلى الوزارات المختلفة والسلطة المحلية للولاية ·

استمع كل هؤلاء لـ 39 محاضرة ونحو 1500 تعليقا تدور كلها حول الموضوعات الآنفة الذكـــر ·

ومن أبرز تلك المحاضرات :

1 ـ مجهودات الدولة الرستمية فى نشر الحضارة الاسلامية وتركيزها للشيـــخ سليمان داود بن يوسف ·

2 ـ المجتمع التاهرتى فى عهد الرستميين للدكتور احسان عباس ·

3 ـ مشاكل تواجه الاسلام فى افريقيا اليوم للمستشرق الانجليزى المعـــروف وليم مونتجومرى وات ·

4 ـ المسلمون فى افريقيا بين الحاضر والمستقبل للاستاذ عبد الحليـــم عـــويس المدرس بكلية الشريعة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ·

5 ـ علاقة الافارقة الامريكان بالاسلام فى التاريخ الماضى والمعاصر • للدكتور المستشرق دونيس ووكر الاستاذ بقسم دراسات الشرق الاوسط بجامعة ملبورن ـ باستراليا ـ

6 ـ قضية المرأة كما اتصورها للدكتور الحبر يوسف نور الدايم ، الاستاذ بجامعة الخرطوم بالسودان •

7 ـ المرأة العربية فى صدر الاسلام كنموذج للمستشرقة الالمانية المعروفة سيجريد هونكة ، صاحبة الكتاب المشهور ـ شمس الله تسطع على الغرب ـ الذى احدث ضجة فى العالم العربى حين صدوره •

8 ـ ما اعطاه الاسلام للمرأة كاف وكفيل بأن يجنبنا التجارب والنكسات • للاستاذ : محمد الصادق بسيس ، الاستاذ بالكلية الزيتونية للشريعة واصول الدين بتونس •

9 ـ المرأة المسلمة والفرنسية امام القانون ، للدكتورة الفرنسية ايفادى فيتيترای مايروفيتش •

10 ـ ما تحت الارض نعمة وليس نقمة للدكتور محمد رشيدى (اندونيسيا)•

وعشرات المحاضرات غير هذه قد القيت ونالت من المؤتمرين البحث والنقاش •

فى بداية الملتقى أعلن معالى وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية بالجزائر السيد مولود قاسم ـ بعد افتتاحه الملتقى ـ ان الوزارة تطرح هذه الموضوعات الاربع على سبيل التساؤل وليس لفرض وجهة نظر معينة وقد ضمن حديثه شيئا من الطرافة بصدد كل نقطة من النقاط الاربع فقال مثلا عن النقطة الثانية وهى حول ـ الاسلام فى افريقيا اليوم ـ « كيف ونحن نلتقى الآن فى جنوب الجزائر لا نستعرض الاسلام فى بلاد السودان كما كان يسميها ابن خلدون ، بل وفى افريقيا كلها وهى المتعرضة للمناورات والمؤامرات ومحاولات التسرب والنفاذ والتطويق والاستحواذ»•

وقال عن النقطة الثالثة المتعلقة بقضية المرأة : « اننا نريد ان نعرف هل المرأة اليوم هى تلك الضعيفة المستضعفة المهضومة المسكينة المستكينة ... ام هى بالعكس من هذه كله هى تلك المتمردة المستبدة صاحبة الحيل والاحابيل القديمة والمستجدة التى هى الى الانقضاض والعدوان الجريئة والمستعدة صاحبة الطاغوت والجبروت ، زيادة على سحر هاروت وماروت » . ولم يكد ينتهى حفل الافتتاح حتى بدأ سيل المحاضرات والتعليقات يحتدم مدة عشرة ايام لم يتخللها الا يومان لزيارة معالم الولاية بطرفيها المتدين لمئات الاميال نحو - حاسى مسعود - (والحاسى هو البئر) ، وتوجرت تارة ونحو وادى الميزاب وآثار سدراتة تارة اخرى . والطائفة الاباضية (احدى فرق الخوارج) المسيطرة على وادى الميزاب والتى كان لها دور محمود فى الجهاد ضد فرنسا وفى رفض المؤامرة الفرنسية التى هدفت لفصل الصحراء الجزائرية عن الجزائر الكبرى .

وقد توجهنا بعديد من الاسئلة التكميلية لهذا العرض الى الاستاذ عبد الحليم عويس المدرس بكلية الشريعة - بجامعة الامام محمد بن مسعود الاسلامية - وهو احد اثنين حضرا الملتقى من المملكة .

وسألناه أولا عن : دور وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية بالجزائر فأجاب :

انه من الناحية الرسمية والشعبية تعتبر هذه الوزارة التى يشرف عليها معالى الاخ مولود قاسم ، المسئولة عن العمل الاسلامى فى الجزائر ، فالتعليم الدينى الذى يمتد فى معاهد متوسطة وثانوية تشبه المعاهد العلمية الموجودة بالمملكة تحت اشراف هذه الوزارة كما ان هناك كليات اسلامية تبنى لاستيعاب خريجى تلك المعاهد .

والمساجد تخضع لاشراف الوزارة ، وصور النشاط الدينى المختلفة تنبثق عن هذه الوزارة ايضا .

كما ان مجلة الاصالة وهى المجلة الاسلامية التاريخية الشهرية تصدر ايضا عن الوزارة .

وتعتبر ملتقيات الفكر الاسلامى التى بلغ عمرها الآن احد عشر عاما جزءا من نشاط هذه الوزارة ، وهناك ادارة دائمة تشرف على تنظيم واعداد هذه الملتقيات وهى تسمى ادارة الملتقيات ومديرها هو الاستاذ احمد اسماعيل.

كما ان من الاجهزة التابعة للوزارة المجلس الاسلامى الاعلى الذى يرأسه الاستاذ احمد حمانى (وهو من ابرز الشخصيات الاسلامية البصيرة بالجزائر) وهذا المجلس التابع لوزارة التعليم الاصلى يشبه فى المملكة دار الافتـــاء .

وحول سؤالنا عن نتائج الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى أجاب :

تنتهج الملتقيات نهجا خاصا فهى فى الحقيقة ملتقيات فكرية تربوية بالدرجة الاولى فالجزائر لها وضع خاص يختلف عن الوضع فى المملكة العربية السعودية ومصر مثلا . ذلك ان الجزائر تدخل باب التعريب من جديد وتجاهد فى هذا الميدان ... وقد تركت فرنسا لغة فرنسية مسيطرة على المصالح والمؤسسات والمعاملات ، كما تركت اطارات كثيرة تعتمد فى عيشها على اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية . وبما ان اللغة العربية مرتبطة بالاسلام فان اعداء التعريب يخفون عداء للاسلام أيضا ... وهم يروجـــون ان الفكر الاسلامى غير قوى ويعملون على خلق جيل متمسك بالفرنسية لغة وحضـــارة حتى مع استقلال الجزائر عن فرنسا ... لكن حكومة الجزائر مشكورة ماضية بحـــزم فى طريق التعريب وقد قطعت شوطا بعيدا فى ذلك .

ومما يرد كيد اعداء التعريب فى الجزائر ملتقيات الفكر الاســـلامى التى تسعى للتعريف بعناصر القوة فى الحضارة الاسلامية وبأصالة التاريخ الجزائـرى الاسلامى ، وتسعى ايضا لاظهار قوة الفكر الاسلامى وقدرته على الصمود فى وجـــه التحديات ، وقدرته أيضا على صياغة حياة رشيدة جديدة ، كما ان الملتقيات تربى جيلا مثقفـــا ثقافـــة عربيـــة .

أما التوصيات والقرارات فهى تحتل الدرجة الثانية من مهام الملتقيات .

الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى (*)
فى ورقلة

د · آمال ايزين
عضوة معهد البحوث الثقافية التركية
ـ اسطنبول ـ



لما اندلعت المقاومة الوطنية فى الجزائر أسهم فيها الشعب الجزائرى كله بما فيه الرجال، والنساء، والشيوخ، والاطفال · وكانوا كرجل واحد · وجرت المقاومة تحت قيادة المفكرين من المواطنين · والجزائر التى تكبدت الاهوال سنين عديدة وهى تجتاز حقبة ملأى بالبطولات ، شعرت ـ فى ميدانى الوجدان والفكر ، بعد انتهائها من حرب التحرير ـ بمسيس الحاجة الى تكوين دولة ·

(*) نشر بالجريدة اليومية التركية « بيرق » فى ستة اقسام من 18 الى 23 مارس 1977 ·

نظرة شاملة على ملتقيات الفكر الاسلامي

تقام ملتقيات الفكر الاسلامي سنويا منذ 1967 بدعوة من وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية بالجزائر ٠

ان وظيفة الوزير المشار اليه أعلاه كما يدل على ذلك اسم الوزارة تضطلع بالبحث عن ثقافة الجزائر الاصلية وهي الثقافة الخاصة بها وهي التي تندرج في اطار الدين الاسلامي ٠

ماذا صنعت الامبريالية الفرنسيه في الجزائر ؟

كما تدل على ذلك الآثار التي نشرها الكتاب الجزائريون شرع الفرنسيون في فرنسة الجزائر فور احتلالهم لارضها سنة 1830 ٠ والمحاولة الاولى في هذا الصدد كانت تهدف الى حمل الجزائريين على أن يتخلوا عن الوعي بهويتهم الوطنية وبدينهم ٠ فلم تعد اللغة العربية تدرس في المدارس وصار الاسلام يعرف (بتشديد الراء) بكونه تعصبا ٠ وصار تعليم تاريخ الجزائر مقصورا على تعليم تاريخ بيزنطة وتاريخ روما وتاريخ فترة احتلال فرنسا للجزائر ٠

ومن جهة أخرى حققت العلائق القديمة لاقدم الجزائريين : البربر مع ثقافات بيزنطة وروما ٠ وبموجب اختلاطهم ـ من حيث الجنس ـ مع الوندال ٠ وكانت فرنسا تهدف الى فصل البربر من الاسلام لتنصيرهم ٠ ويفهم من مقالات حررها المؤرخ الجزائري توفيق المدني ووزير التعليم الاصلي مولود قاسم نايت بلقاسم للدفاع عن الترك أن هذين انصب عليهما النقد ـ بشكل خاص ـ ووجهت فرنسا اليهما التهم ٠ وبصفة عامة لم تتح أية فرصة للجزائريين لمتابعة دراستهم ، وان الجزائريين الذين تابعوا دراساتهم العليا قليلون جدا ٠ ولما كان الذين يتعلمون في فرنسا تربحهم فرنسا بدأت الاسر الجزائرية ترسل أبناءها لمتابعة دروسهم الى بلاد أوروبية غير فرنسا ٠

ردود الافعال الوطنية والدينية

ومن جهة أخرى خاض العلماء المسلمون مقاومة صامتة ضد المبشرين المسيحيين ٠ وهكذا لم تفلح سياسة فرنسا الثقافية تماما في تحقيق أغراضها ٠ وعلاوة على ما مر، لما انطلقت المقاومة الوطنية تحت قيادة رجال الفكر من المواطنين في الجزائر أسهم

الشعب الجزائرى كله كرجل واحـــد فى الجهـاد بمـا فيه الرجال والنساء والشبان والشيوخ • والجزائر التى تكبدت محنتها سنين بما فى ذلك من بطولات على مرأى ومسمع من الناس جميعا احست بمسيس الحـاجة الى تعميم التوعية الوطنية والدينية اللتين تم تكوينهما على مستوى الفكر والوجدان والى اعادة تأسيس الدولة فور نهاية حرب التحرير •

وهكذا تكونت وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية وأسندت الى مولود قاسم نايت بلقاسم المناضل فى حرب التحرير • وبدأت اقامة ملتقيات الفكر الاسلامى فى سنة 1967 • وكان الوزير مولود قاسم نايت بلقاسم يشارك فيها بالمحاضرات والتعاليق ويسيرها ويراقبـها بنفســـه •

الغاية من ملتقى الفكر الاسلامى

تدعى ـ بشكل خاص ، شخصيات من الجزائر ومن البلاد العربية الاخرى لحضور ملتقيات الفكر الاسلامى • وهؤلاء الشخصيات هم من العلماء فى الدين الاسلامى ومن الدارسين للتاريخ،وعلم الاجتماع،ومن رجال الدولة ومن الصحفيين • ويدعى اليهـا مسلمون ليسوا من العرب • بل هم من الاتراك،ومن أهل تركستان،وايران،وباكستان • بل يدعى اليها حتى طائفة من الباحثين والمفكرين المسيحيين من المانيا،ومن الولايات المتحدة،والنمسا،وفرنسا،وبلجيكا،وانقليترا،واسبانيا،وايطاليا،وبلاد السويد،وأستراليا للمشاركة فى الملتقى •

تقام هذه الملتقيات كل مرة فى مدينة من مدن الجزائر ولكن دائما فى ارض الجزائر وتمنح الاولوية فى البحث لتاريخ المدينة التى يقع فيها الملتقى • ومن جهة أخرى تختار ـ فى كل ملتقى ـ ثلاثة مشاكل ثقافية جديدة (1) • ويرجى أيضا من الحاضرين تقديم بحوث فى الموضوع • واللغات الرسمية فى الملتقى هى اللغات : العربية ، والالمانية ، والفرنسية ، والانكليزية •

وترسل البحوث قبل انعقاد الملتقى وتستنسخ فى اللغات الرئيسية وفى اللغة العربية • وتقع ترجمة البحث من هذه اللغات الى العربية فى ذات الوقت الذى يلقى

(1) مواضيع الملتقيات تكون ثلاثة واكثر «المحرر»

فيه • ويفتح نقاش حول كل بحث ، ويحضر الملتقى ألف طالب وطالبة أكفاء يختارون من بين الجامعيين وتلامذة الثانويات • ويمنحون الحق فى القاء أسئلة كتابية على اصحاب البحوث • وتنشر البحوث من بعد باللغة العربية نصا ومضمونا(1) • وتسهم الاذاعة والتلفزة فى ملتقيات الفكر الاسلامى التى تكتسب هكذا أهمية أكثر لا بالنسبة الى الجزائريين فحسب ، بل حتى بالنسبة الى الاقطار العربية الاخرى والى سائر البلاد الاسلامية والاوساط الثقافية غير الاسلامية التى تهتم بالعالم الاسلامى •

ومع هذا لم تكن تعاليم الاسلام الاصلية وراثية فيما تواضع عليه الناس فى مدينة الرسول (صلعم) • فقد كان لسكان المدينة المنورة أن يسندوا الخلافة والامامة لاى أحد يرونه أهلا لذلك • ولم يشترط فى الخليفة والامام أن يكون من نسل النبى (صلعم) أو من قريش • بل كان لكل شخص عالم وعدل أن يولّى الخلافة أو الامامة • وعلاوة على ذلك فقد ورد فى حديث الرسول (صلعم) أن عبدا حبشيا صالح ليؤم جماعة المسلمين .

انعقد الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى من 6 الى 15 من شهر فبراير 1977 فى واحة من واحات وادى ميزاب ببلاد الجزائر • فى الدرجة 32 شمالا والدرجة 5 شرقا • وقع الاجتماع فى واحة سدراته ـ ورجلان (ورقلة) • ورجلان وسدراته كانتا آخر عاصمتين للدولة الرستمية البربرية (160 ـ 776/296 ـ 908) • وهكذا أول موضوع عرض على المؤتمرين فى الملتقى الحادى عشر كان : الثقافة الاباضية الرستمية • وليس الآن على أرض ورجلان وسدراته الا آبار وبساتين نخيل • وقد تكدست على المدينتين العتيقتين كثبان الرمال ونقبت فيهما حفائر أثرية • أما ورقلة فانها مدينة اقرب عهدا وحلت محل ورجلان العتيقة •

لنذكر بتاريخ المذهب الاباضى الخارجى المنبثق من الخلاف الذى نشب فى صفين بين معاوية وخصومه سنة 37 هـ/657 م • فان جماعة من المسلمين انسحبت من الخصومة بعدما لاحظت أن الطرفين لم يكن سلوكهما مطابقا لما جاءت به تعاليم الاسلام الاولى • وسميت هذه الجماعة بالخوارج • يعتقد هؤلاء أن أنصار على وبنى أمية ارادوا

(1) وتنشر بالفرنسية ايضا اذ توزع فى القاعة نفسها على الملتقين وتنشر فى الصحافة وفى كتب الملتقيات بالعربية والفرنسية على الاقل ، واحيانا بلغات اخرى ايضا (خاصة منها الانجليزية)

أن يدخلوا فى تعاليم الاسلام الاصلية عنصر الوراثة - لذلك لم يعترف الخوارج بالتعاليم الاسلامية التى دان بها بنو أمية والعباسيون،والشيعة، والخلفاء الفاطميون المتشيعون ٠

وانتقض الخوارج على خلفاء بنى أمية ليعيشوا العيشة التى يرتاحون اليها والتجأوا الى أقطار بعيدة عن مناطق نفوذ بنى أمية كآسيا الوسطى شرقا والشمال الافريقى غربا. والمنزلة التى تحتلها الخوارج فى تاريخ الثقافة التركية الاسلامية هى خارجة عن نطاق هذا المقال وان كانت موضوعا جديرا بالبحث

المذهب الاباضى

ان المذهب الاباضى مؤسسه هو عبد الله بن اباض وقع ذلك فى النصف الثانى من القرن الاول الهجرى ٠ انتشر هذا المذهب فى كنف اسرة بنى رستم ٠ وبعد انقراض هؤلاء واحتلال الفاطميين للشمال الافريقى واصل الاباضيون حياتهم متمسكين بعقائدهم الخاصة فى المراكز القديمة الرستمية ٠ حفروا آبارا فى الصحراء وأسسوا واحات شبه اصطناعية واختطوا مدنا صغيرة مستقلة مثل مدينة بنى يزقن ومدينة غرداية على تلال الواحة ٠ وهذه المدن التى تحيط بها أسوار لا تزال موجودة الى الآن ٠ واليوم لا يستطيع الاجانب أن يدخلوا بسهولة فى هذه المدن ٠ ولا يمكن أن يسكن فى المدينة الا الاشخاص المنتمون الى طائفة الاباضية الحسنو السلوك فقط ٠ والمسيرون لكل مدينة اثنا عشر نفرا على الاكثر ينتخبهم سكانها ٠ وهؤلاء الاشخاص الذين يمتازون بسلوكهم الحسن وبثقافتهم يتقلدون أيضا وظيفة خوجا أو خطة القضاء وهم الذين تصدر منهم الاحكام على المذنبين ، والجانى الذى يتوب ويرضى بالعقاب قد يسمح له بمواصلة الاقامة فى المدينة كما يقع ذلك فى المدينة المنورة ٠ وما دام العقاب جاريا عليه لا يتحدث اليه أحد ولا تقبل منه أى تحية ٠ ويبعد الجانى من الجماعة ما لم يعترف بذنبه ولم يرض بالعقاب ٠

والمدن التى تحيط بها الاسوار مثل غرداية وبنى يزقن هى مبنية على الروابى ٠ وعلى قمم هذه المدن المتكونة من بيوت صغيرة مدهونة باللون الابيض والازرق ومن

أزقة ضيقة منحدرة مراكز دينية • وبعضها ابنية تاريخية ترقى الى القرنين الرابع والخامس الهجريين او العاشر والحادى عشر بعد الميلاد • والمساجد هى ابنية متكونة من قباب تحملها سوار غليظة تشبه سوارى مسجد بنى أمية فى قرطبة •

وفى وسط مسجد غرداية عين ثرة يراها الرائى والماء يفور منها • وللمآذن الاباضية شكل خاص ، هى بروج ذات أشكال مستطيلة تزيد دقة ونحافة بقدر ما تزيد علوا وارتفاعا • وفى أعلى البرج حجرة صغيرة للمؤذن أو للمصلين تدعى صومعة كما كانت تدعى المآذن بذلك فى الزمان القديم • ولفظ صومعة تدعى به المآذن أيضا فى الجزائر • وزوار المدن الاباضية عند مشاهدتهم لبقايا هذه العصور الغابرة يشعرون وكأنهم رجعوا الى عهود الاسلام الاولى •

البحوث الملقاة خلال الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى وما دار حولها من نقاش

افتتح الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى بخطابين : خطاب السيد مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، وخطاب الدكتور غاى أمين عام مؤتمر الدول الاسلامية • عرف الوزير نابت بلقاسم بالموضوعات التى تم اقتراحها على الملتقى الحادى عشر • اما الدكتور غاى فقد تحدث على الاهمية التى اكتستها ملتقيات الفكر الاسلامى وطلب أن تضم هذه الى البرنامج الثقافى للملتقيات الاسلامية الدولية •

وقد تناول الكلمة أيضا المسيو دى ايبالزا من جامعة مدريد وأدلى بمعلومات حول الملتقى الدولى الذى سينعقد فى شهر مارس 1977 فى قرطبة • والموضوعات التى يعرض لها المحاضرون خلال هذا الملتقى هى : سيرة الرسول محمد (صلعم) وشخصية المسيح فى القرآن •

العثور على أقدم سيرة

ان كثيرا من الدارسين طلبوا الى رئيسنا للشؤون الدينية الدكتور س• أتس أن يمدهم بمعلومات حول ملتقى سيرة الرسول الذى سينعقد فى توكيا • ان الملتقيات

حول سيرة الرسول ستقام فى الاعوام المقبلـة ، لانه ـ حسبما اخبرنى به الاستـاذ حميد الله-عثر على نسخة من النص الاعلى للسيرة التى الفها ابن اسحاق . وهذا النص هو أقدم مصدر معروف لسـيرة الرسول (صلعم) .

والمؤمل العثـور فى نص ابن اسحاق على معلومات جديدة حول سيرة نبى الاسلام .

وقد ذكرنا ان اول موضوع اقترح على الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى هـو موضوع الثقافة الاباضية الرستمية (1) واول بحث تطرق صاحبه الى هـذا الموضوع بحث القاه الشيخ سليمان داود بن يوسف . وتلاه الدكتور أ.النامى (ليبيا) من جامعة ميتشيقان، والدكتور احسان عباس (فلسطين) من جامعة برينستون،والدكتور ابراهيم فخار (جزائرى) من جامعة وهران،والاستاذة وداد القاضى (لبنانية) من جامعة هارفارد، والدكتورة م. فيغيرا (اسبانية) من جامعة كومبوستال ، والدكتـور س . نوغاليس (اسبانى) من معهد البحوث الثقافية العربية الاسبانية فىمدريد،والدكتور دامبروفسكى من جامعة وارسـو .

الاسـلام فى افريقيـا اليـوم

الموضوع الثانى المقترح على الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى كان : الاسلام فى افريقيا اليوم . وأول خطاب فى هذا الصدد ألقاه الاستاذ محمد عبد الله عنان من مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وقد أشار الاستاذ عنان،والدكتور عويس من جامعة الرياض فى العربية السعودية،الى نشاط المبشرين المسيحيين،والى نشاط الشيوعيين بصفتهم الخصوم الاولين الذين لقيهم الاسلام فى افريقيا . وقد ذكر الدكتور وات من جامعة ايدمبورغ أن المسلمين يتعلمون أشياء كثيرة من المسيحيين. وذكر أيضا أن الامبراطورية العثمانية اعرضت عن الاسلام من وقت الاصلاح (تنظيمات) وان الجمهورية التركيـة انفصلت انفصالا كاملا عن الاسلام .

وقد كان لهذا الكلام أثر سيء فى عواطف الاخوة والحب التى يشعر بها العالم العربى ازاء الاتراك . وان احدا من الباحثين الشيعة واستاذا سوريا فى علم الكلام ذكرا انهما

(1) صيغة هذه النقطة فى جدول اعمال الملتقى هى : مساهمة الرستميين فى حضـارة الاسلام وفكره

مضطران الى الموافقة على ما قاله وات والالم يملا قلبيهما • وقد تناول الكلمة فورا ـ من بين الوفد التركى ـ الاستاذ ارجـمند كوران وممثل رئيس الشؤون الدينية الدكتور على ايدين ، الاول بالفرنسية والثانى بالعربية وقالا ان الاتراك ـ علاوة على كونهم لم ينصرفوا عن الاسلام بقوا ـ طوال كل العصور التاريخية ـ المدافعين الاولين عن الاسلام وصححا أخطاء ارتكبها وات من ناحية التاريخ القانونى •

وقد استلفت الاستاذ كوران الانتباه الى شيء : وهو أن الاتراك أقاموا صرحا هو قانون التشريع الاسلامى واحدى دعائم قانون الاسلام • وبعد ذلك طلب العالم الدينى الشيعى العفو من الاتراك بلياقة • ثم قطع الوزير الجزائرى للتعليم الاصلى والشؤون الدينية كلام العالم السورى بسبب مجاوزة الوقت المحدد للنقاش • وأوشك من بعد الدكتور أيدين أن يلقى خطابا حول التربية الدينية فى تركيا •

أما ما يخص موضوع الاسلام فى افريقيا الحديثة فقد ألقى أيضا جماعة مـن المحاضرين أبحاثا وهم : الدكتور ووكر من جامعة ملبورن (وهو استرالى مسلم) وكاتب من القاهرة الدكتور م• دياب ، والدكتور أ• جوب من جمعية كتاب السينغال ، وقد شكا وزير الاعلام لجمهورية الصحراء من أن المغرب لا يمنح الاستقلال للشعب الصحراوى •

المـرأة بعـد عـام المـرأة

الموضوع الثالث الذى وقع اقتراحه على الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى عنوانه : « عام المرأة وحقوق النساء » (1) وكان موضوع عدد كبير من البحوث • ألقى البحثين الاولين الاستاذ ل• قيدز من جامعة دانفير كولورادو ، والسيدة ونيسى من اعضاء وفد الاتحاد الوطنى للنساء الجزائريات • أما السيدة ف• كيرى ـ الصحفية الفرنسية ـ فقد عبرت عن المطالب التى تصبو النساء الفرنسيات الى انجازها وتحقيقها ، وقد عرض الدكتور برفين شوكت على من جامعة لاهور فى باكستان فى بحثه للتأثير الايجابى لملتقى مكسيكو سنة 1975 على حقوق النساء فى باكستان • وقد علق علماء الكلام

(1) صيغة هذه النقطة من جدول الاعمال هى : «المرأة بعد عام المرأة» •

المسلمون على مسألة حقوق النساء على ضوء آى الذكر الحكيم ، وقد تناول الكلمة منهم :
الدكتور أ. الدايم من جامعة الخرطوم (السودان) • والدكتور أ. الشيباني من جامعة الفاتح في ليبيا • والسيد ص • بسيس من جامعة الزيتونة بتونس • والدكتور م• البوطى أستاذ فى كلية الشريعة الاسلامية بدمشق •

وقد ذكر رئيسنا للشؤون الدينية الدكتور سليمان أتس بالآيات والاحاديث النبوية التى تشير الى معاملة المرأة بالعطف والحنان ، ولا سيما الام • وقد ألقى خطابه هذا باللغة العربية •

عام المرأة والاتراك

استخدمت الدكتورة س • هونكه من المانيا الغربية تعبيرات تفتح المجال لتاويلات غير لائقة • فقد حاولت أن تبين أن حقوق النساء كانت محترمة عند ظهور الاسلام • والكلمات المشبوهة حول طبيعة وحى القرآن والمقارنات بين الحب الآلهى وحب السيدة هونكه الرمزى من شأنها أن تعتبر جارحة للمشاعر الاسلامية ، ومن جهة اخرى اضطرتنى الى أن أصحح خطأ تاريخيا ارتكبته كخطأ اعتبار الاتراك والمغول مسؤولين عن التهديد التدريجى لحقوق المرأة فى العالم الاسلامى • وخلافا لما ادعته الدكتورة هونكه كانت النساء التركيات والمغوليات ـ حتى بعد الاسلام ـ يتمتعن بحقوق أوسع اذا قسناها بحقوق غيرهن • وحتى لقب « عاهل » الممنوح للنساء التركيات كان مثيرا للتعجب فى الاوساط الاخرى من العالم الاسلامى •

ولم يكن موضوع بحثى هو المرأة التركية المعاصرة بسبب قصر بحوثى على الاطار التاريخى للثقافة الوسيطية بشكل خاص منذ عدة سنوات • وبحثى الذى عنوانه : « المرأة التركية الوارثة للتقاليد الاسلامية والوطنية » صمم ليكون مدخلا تاريخيا لبحوث زميلى التركيين : الاستاذ أ• كوران والسيدة ب• اريبوران الخاصة بالمرأة التركية المعاصرة • وكان هذا مقبولا هكذا من قبل ادارة الملتقى • وكنت قسمت الموضوع على ثلاثة أقسام رئيسية :

أ ـ نشاط المرأة التركية قبل الاسلام فى المجتمع وتمكنها من الارتقاء حتى حصولها على لقب السلطنة ٠

ب ـ بعض الحقوق القانونية اعترف الاسلام بها للمرأة ٠ وربما وقع ذلك للمرة الاولى فى العالم ٠

ج ـ الشخصية الشجاعة المخلصة للفلاحة التركية ولشاعرات وأميرات وعالمات ارتقت بفضل النساء التركيات المسلمات ٠

وقد انطلق النقاش حول بحثى بأفكار وملاحظات ، من قبل الدكتور أ٠ باليك العضو فى الوفد النمساوى وهو مسلم من البوسنه والهرسك ، ومن قبل المفتى عبد الغنى عبد الله الكاتب فى مجلة قانونية والرئيس الاسلامى فى الاتحاد السوفياتى٠

وقد اضافت هاتان الشخصيتان اضافات ثمينة الى المعلومات التى أدليت بها فيما يخص المرأة التركية ٠

وقد لفت عالم طاشقند ـ فى غضون ذلك ـ الانتباه الى ان بعض نساء تركستان المتمسكات بالمذهب الحنفى قد صرن قاضيات كالنساء الاستاذات التركيات ٠

وقد استرعى الدكتور رابح تركى ـ وهو تركى جزائرى ـ النظر الى التناقض بين كلامى وبين قضية اعراض النساء العثمانيات عن الاسلام ابتداء من القرن التاسع عشر ٠

مشكلة الاصلاح

من السهل تفهم التردد الذى يخامر قلوب الجزائريين فيما يخص قضية الاصلاح ٠ وامام هذه الاسئلة المتكررة شعرت بمسيس الحاجة المحتومة الى تفسير وتعليل ضروب الطغيان الفادحة التى أزعجت الامبراطورية العثمانية خلال القرن التاسع عشر ٠

وحاولت ان ارسم صورة للضغوط التى ادت الى الاصلاح وان أتذكر القانون الدولى والتاريخ الديبلوماسى اللذين كنت لقنتهما أثناء متابعتى للدراسات السياسية ٠

وقد كانت الامبراطورية العثمانية أثناء عهدها الاكثر قوة وازدهارا قد اعترفت للاقليات غير المسلمة ولرعايا البلاد المسيحية الاجانب المقيمين فى تركيا بحقوق واسعة باسم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى تعهد بمنح غير المسلمين والمقيمين فى دار الاسلام حرية المعتقد .

كيف يسمو الوعى بالثقافة الوطنية ؟

وقد ذكرت بعد ذلك أن هذه الحقوق كانت قد استخدمت لتخريب دولتنا وأن الالتزامات الاجنبية كان الاجانب قد غيروها بحيث صارت مؤذية للامبراطورية العثمانية وأن هؤلاء أغروا الرعايا المسلمين وغير المسلمين بالثورة والعصيان وأنهم تذرعوا بكل الوسائل لاقتسام ثروات الامبراطورية العثمانية . واضفت قائلا ان تركيا ـ بطلبها الغاء الالتزامات الاجنبية فى اتفاقات لوزان ـ لم تعتبر فقط حق تركيا بل اعتبرت أيضا حق البلاد الاسلامية الوارثة للامبراطورية العثمانية .

ان سؤالا من اسئلة الطلاب كان مثيرا لاهتمام كبير . قد سألت طالبة : كيف السبيل لرفع الوعى بالثقافة الوطنية لدى المرأة الجزائرية ؟ بهذه المناسبة أدليت برأيى حول ضرورة تعليم تاريخ الثقافة الوطنية باستمرار فى جميع المدارس ، ومن بين الطلاب الذين تحادثت معهم كانت طائفة منهم من أصل تركى . ولكن يجب القول : ان الشبان الجزائريين الذين من أصل عربى أو بربرى كانوا مهتمين بتاريخ تركيا اهتمام الذين من أصل تركى .

وحسب ما أطلعنى عليه سفيرنا بالجزائر السيد فايز ملك كان فى جامعة الجزائر كرسى لتاريخ التمدن التركى ، ولكنه ألغى لعدم وجود أساتذة يقومون بذلك .

والشبيبة التى تصبو الى استقاء معلومات عن الاتراك تقبل على تآليف المؤرخ الجزائرى حول العثمانيين وهو السيد توفيق المدنى . والسيدة ف. هلال من جامعة الجزائر جادة فى اعداد دراسة حول اللهجة التركية للجزائريين الذين من أصل تركى .

بحث الاستاذ أ· كوران

ألقى الاستاذ أ· كوران ـ من جامعة هاكـــتب فى أنقره ـ خطابا حول « نمو حقوق المرأة التركية منذ القرن التاسع عشر » بصفته اختصاصيا فى التاريخ العثمانى.

وكان الاستاذ كوران قد أسهم فى ملتقيات الفكر الاسلامى وعرب تاليف من تآليفه ونشر فى الجزائر · وقد أثار بحث السيد كوران الذى يعرف الجزائر معرفة جيدة اهـــتماما كبـــيرا . أما السيدة ب· أريبوران النائبة سابقا والقانونية فقد زودت الملتقى بمعلومات مفيدة ـ من الناحية القانونية ـ حول المرأة التركية المعاصرة وحللت الوضع القانونى للمرأة التركية اليوم على ضوء ملتقى مكسيكو لسنة 1975 حـــول حقوق المرأة · وقد أفاد هذا البحث المؤتمرين افادة كبيرة ·

وقد أعربت السيدة ص· انال من جامعة ارزوروم أيضا عن وجهة نظرها حـــول ذات المشكلة ·

المؤتمرون الذين تناولوا الكلمة وتحدثوا عن حقـــوق المرأة هـــم : السيـــدة أ· دى فيلتراى ميروفيتش العضوة ـ فى فرنسا ـ فى المركز الوطنى للبحوث العلمية وآستاذة الفلسفة فى كلية البنات بجامعة الازهر فى القاهرة · والسيدة ف· مـــالى الصحفية الفرنسية ، والسيدة ف· سيبركا وهى ألمانية مسلمة تعمل فى مونيـــخ (أو مونشن) فى مركز اسلامى ، والاستاذ لكحل بن حواء وهو قانونى جزائرى ،، والاستاذ أ· سايطوح من جامعة طوكيو (وهو مسلم) ، والسيدة كليليا سارنيلى تشركوا من المعهد الشرقى فى جامعة نابولى ·

موارد بطن الارض أهى نعمة أم نقمة ؟

والموضوع الرابع والاخير المقترح على الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى كان : ثروات باطن الارض أهى نعمة أم نقمة ؟ خمسة بحوث فقط ألقيت حول هذا الموضوع ،،

وقد اختار أن يتحدث عنه السادة الآتية أسماؤهم : الدكتور صارى من جامعة الجزائر، والدكتور الصاوى من جامعة طهران ، والدكتور م٠ رشيدى من كتاب اندونيسيا ، والدكتور د ٠ كاون من جامعة لنــدن ، والدكتوز صبرى ، من سوريا ٠

وخلال انعقاد الملتقى نظمت زيارات لمراكز النفط مثل حاسى مسعود وللمدن العتيقة فى واحات الصحراء مثل غرداية وتقرت وسدراتة ٠

وبدعوة من الوالى عرضت علينا رقصات دينية قام بها جماعة من البربر مستخدمين صناجات وطبولا ضخمة ٠

وقد شاهدنا فى معرض رسوم وكتب مفتوحة فى دار ولاية ورقلة صورا شمسية لنماذج معمارية ترقى الى العهد التركى فى الجزائر ورسوما منتزعة من مؤلفات عربية من عهد القرن التاسع عشر ٠ وقد عرضت على هذه الرسوم مناظر لاسطانبول وللدخول الاول للسلطان الفاتح محمت وهو ممتط فرسه الابيض فى اسطانبول ومناظر من معارك الجهاد التى قادها باربروس خير الدين باشا ومنظر للبطل الجزائرى الامـير عبد القادر (1808 ـ 1883) ٠

وصـــول الاتـــراك

وقد دعى الاعضاء المسلمون المشاركون فى الملتقى الى أداء صلاة الجمعة فى مسجد ورقلة الصغير ٠ داخل هذا المسجد ووراء حائط أقصر من قامة انسان كانت النساء يشاركن فى الصلاة طبقا لتقاليد المذهب المالكى كما فى العصور الاولى للاســلام اديت صلاة الجمعة فى مسجد خال من كل زينة ٠

وأخيرا ، فقد سنحت لنا ـ نحن الاتــراك ـ الفرصة للتعرف على الجـزائريين الذين استقبلونا ـ كبارا وصغارا ـ استقبالا حارا ٠

المرأة بعد عام المرأة

احد موضوعات الملتقى II للفكر الاسلامى

السيدة كزافيير غوتيى
كاتبة ـ باريس ـ (فرنسا)
ومديرة مجلة « الساحرات »



انك متكدرة مضطربة • انك تتساءلين • لقد اكتشفتهن هنا مجتمعات فى ركن ما،او زاوية من الزوايا • فعلى امتداد الطريق الذى يعبر القرية الاشتراكية ، القرية النموذجية ، رجال سعداء يصفقون ، واطفال مدارس يرفعون اصواتهم لاستقبالنا والاحتفاء بنا • ثم انك ـ وقد قادتك الزغاريد ـ قد اكتشفتهن ملفوفات فى خمرهن ، وفى أحضانهن أطفال صغار • تتجهين نحوهن وعلى شفتيك ابتسامة ، وباندفاعة واحدة يسارعن الى مصافحتك وتقبيل يدك ، لماذا ؟ تتحدثين اليهن ، وهن صامتات • لقد أزاحت الفتاة ـ وهى تضحك ـ نقابها الذى كانت تشده بأسنانها ـ انها جميلة ـ وهى تقول « اسكت » ثم عادت فشدت خمارها بأسنانهاساترةبه وجهها • ذلك منتهى ما صدر منها من كلام •

(*) نشر في مجلة « الساحرات » الفرنسيه . العدد الثامن .

لكن داخل الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى ، كلام وكلام كثير · فالمحاضرات يتلو بعضها بعضا بأسرع الوتائر · تنصتين فلا تفقهين شيئا من دقائق الامور التى تتصل بالممالك الرستمية · ومع ذلك فانت تفهمين ان السعودى شن الحرب على المسيحيين ، واليهود ، والشيوعيين ،والماسونيين ، وان اليمنى العجوز وزير العدل السابق لوح بسيفه مهددا بقطع رأس الكفرة ··· والنساء · انك لتشعرين بغليان فى نفسك ، وتتهاوين على كرسيك الوثير · وما كان لك ان تنسى انك فى ضيافة وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية فى الجزائر ، بل ان الجزائريين ، والوزير الصحراوى، والتقدميين يصعدون الى المنصة لتهدئة الامور ، أنهم يصفون حساباتهم السياسية بالرجوع الى الله ، حسنا ، سوف لا تنزعجين لاساقفة محليين من طراز الاسقف « ليفيفر » Lefèvre · (2)

لكن ها هى ذى القضية تتعلق بالنساء ، وهنا تسمعين كل شىء · مما لم تكونى تعرفينه قبل مجيئك الى هذا المكان ؛ ما لم تكونى قد فهمته جيد الفهم من قبل ، وهو ان الاسلام حرر المرأة ·

هل هذا يدهشك ؟ انك لم تقرأى القرآن كما ينبغى ، فقد ورد فى الاثر أن « **الجنة تحت أقدام الامهات** » ، وجاء فى القرآن « **ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها** ».اذن فالامور كلها تجرى على ما يرام·او تنكرين ؟ اما تزالين غير مغتبطة بأنك مخلوقة من ضلع الرجل لتكونى له سكنا وراحة ؟ لكن ماذا تبتغين أيتها التعيسة ؟ انت تريدين هدم الاسرة ، تقويض اركان المجتمع ، وتعريض الانسانية جمعاء للفناء ! ألا تعلمين (وهذا من كلام استاذ أمريكى فى الملتقى) (3) ان تحرر المرأة « محاولة مقصودة لاضعاف الرجل والانتقاص من رجولته وحرمان المرأة من حقوقها التى ميزتها من الرجل بكل رقة ولطافة » ، مما تنشأ عنه حالات الطلاق والافراط فى تناول المخدرات،والادمان على السكر، وتفشى الجرائم (من اغتيالات واعتداءات على العرض والشرف)

(2) اسقف فرنسى يعارض حاليا دعوة البابا الحالى الى التخلى عن كثير من تقاليد الكنيسة ، ومنها تلاوة الصلاة باللاتينية .

(3) هو الاستاذ الدكتور شارل قيدز

والتفسخ الخلقى ، وأوبئة الامراض الزهرية ؟ ألا تعلمين (وهذا قول أحد السودانيين) (4) ان النساء المتحررات فى الغرب يتلوين شبه عاريات على الارصفة فى فجور ودعارة ؟ ماذا ، لكأنى بك عازمة على المضى قدما فى الكفاح من أجل حقوقك ؟ ألا تعلمين (وهذه مقالة سيدة فرنسية اعتنقت الاسلام) (5) ان للنساء المسلمات من الحقوق أكثر مما لديك ، وهذا من قديم الزمان · حسنا · لكن والحجاب ؟ لم يكن الحجاب فريضة من الرسول الكريم ، انما هو عادة متأخرة · لكن وتعدد الزوجات ؟ ليس سوى ترخيص ، لان الرسول قال للرجال « **فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة** » (القرآن) ، كما أنه أوصى بالنساء خيرا وبحسن معاملتهن ، وحسن معاملة الحيوانات كذلك · والواقع أن الامر كان رهيبا قبل الاسلام · فقد كانت النساء يدفنن وهن على قيد الحياة · ثم اقتصر الامر على اغراقهن · والآن ما ان انتهيت من الحديث على الساحرات حتى صعد رجل الى المنصة وقال : « لا ·· ان المرأة التى تهدم الاسرة ، يجب ألا يقذف بها فى الماء ، بل يجب قذفها فى النار ! » وهنا تعالى دوى من التصفيق من نصف القاعة المخصص للذكور من الطلاب ·

وتحاولين الحصول على شىء ما فى الركام ، فتلاحظين انه فى عام 1917 صدر بتركيا مرسوم يشترط رضا المرأة قبل ان يعمد زوجها الى التزوج بامرأة ثانية ، وان الدولة التركية دولة علمانية ، وان الشريعة قد ابطلت · والشريعة هى التى تحكم العالم الاسلامى ، والتى تنص فى مجال الارث على ان للذكر مثل حظ الانثيين ، وان شهادة رجل واحد تعادل شهادة امرأتين ، وتسجلين بأن المرأة فى ايطاليا ليس من المحتوم عليها حين تتزوج ان تتسمى باسم زوجها ، وذلك منذ سنة 1975 · لكن آلافا من النساء يقمن فى البيت ، يعملن فى « ظلام الليل » عملا يتناولن عنه نصف أجرة · وتسمعين من يابانى ان للرجل والمرأة فى السويد نفس الواجبات فيما يتعلق بالمهام المنزلية ، وان معونات مالية تمنح للمستخدمين ، (بالكسر) الذين يشجعون النساء على العمل فى المجالات المخصصة للرجال عادة · وتلاحظين انه لا يمكن لرجل فى الباكستان ان يتزوج

(4) الاستاذ الدكتور الحبر (يوسف نور الدايم)
(5) الاستاذة الدكتورة ايفادى فنرى مايروفيتش

بامرأة ثانية الا بإذن من الزوجة الاولى وتأخذين عن الباكستانية أن القانون المصرى يعترف بالطلاق القائم عن تراضى الزوجين، وان للمصريات حق التصويت منذ عام1956!

كيف تجدين نفسك فى هذا الخليط من الكلام ؟ ان هناك امرا واضحا على الاقل ، وهو المثل التونسى عن المرأة : « فى النهار دابة ، وفى الليل شابة » (6) ، والمثل القائل : « لا تضربها الا بعد ان تقيدها » ، ثم قولهم ان الله خلق المرأة « لتخدم وتنجب له ابناء ... ورسالتها الاصلية ومهمتها الاولى تتمثل فى الحفاظ على الاسرة » فأى مصير أحسن من هذا يمكن ان تحلمى به ؟ ان المرأة كما يقول الشيخ المحترم هى « مصنع للانتاج » (7) . وتثورين فى آخر الامر ، وتتحدثين فى الميكروفون فتقولين : « انكم لتغمرونها شرفا ، فليست المرأة مصنعا . وانما هى مجرد عاملة يستغل مجهودها رب العمل الذى هو زوجها ، وقد سبق لماركس ان قال : « ان الرجل فى مثال الزوجين هو ذلك البرجوازى ، والمرأة هى ذلك البروليتارى . وفى اعتقادى ان الجميع يعلمون هذا فى هذا البلد الاشتراكى » . وعن الاشتراكية بالذات تتحدث امرأة . انها امرأة جزائرية ، وتستمعين اليها باهتمام . انها أخت . انها مناضلة فى جبهة التحرير الوطنى . ولابد ان تذكرى أيضا مدى تأثرك بهذه الحفاوة الحارة ، المتفتحة ، الحية ، والعجيبة حقا التي يخصك بها الجزائريون ، انت الفرنسية بالذات ، ولم تمض على الحرب سوى بضع سنوات ! انك لمتأثرة حقا بمثل هذه الرقة واللطافة ، وبمثل هذه الروح الخصبة السمحة .

وتتحدث هذه المرأة العضوة فى أمانة الاتحاد الوطنى للنساء الجزائريات (8) ، وتقوم بتحليل غدا تقليديا في الاوساط « السياسية » وتقول : « لقد كانت المــرأة أداة ووسيلة انتاج في يد الرجل والسيد ، لكن الاشتراكية تحل هذه المشاكل جميعا ، لان الانتاج الذى يشارك فيه الجميع ملك للجميع » . وتضيف « بان نظام الإنتــاج الرأسمالى هو الذى تتحول المرأة داخله ، وهي « المثال الجامد » ، الى « مادة تجارية ، بل وحتى صورة من صور الاشهار » ، وهي تقول أيضا : « ان الاسلام منح المرأة أهلية

(6) أورده الاستاذ الصادق بسيس فى محاضرته .
(7) الاستاذ بسيس .
(8) السيدة زهور ونيسي .

مالية ، وثقافية،واجتماعية » · لكنها هى على الاقل تطرح السؤال الذى تطرحينه ، (على فرض أن هذه المساواة التى تنالها المرأة فى الاسلام مطروحة من حيث المبدأ ، فانه بالامكان دائما تأويل النصوص المقدسة حسب المرغوب ، والمسيحيون يفعلون ذلك بصدد الانجيل) · انها تتساءل : لماذا مثل هذه الهوة السحيقة بين النصوص التشريعية والوقائع البهيمية التى نعيشها ؟ وتشير باصبع الاتهام الى الظروف الاجتماعية ، والثقافية ، والاقتصادية والسياسية (الاستعمار مثلا) · وتبدئين تفهمين أن الدين الاسلامى كان بمثابة الاسمنت للثورة ولحرب التحرير ، وان أية معارضة مكشوفة لمثل هذا الدين تعنى عملية انتحارية ، وان من الخير القول ــ عن خطة متعمدة او مجرد مخرج غير واع ــ بان المسلمين الحقيقيين هم الذين تتمتع لديهم المرأة بكامل الحرية· ثم ان هذه المرأة التي تدير مجلة « الجزائرية » مجلة المرأة ، تكافح بذكاء واقتناع من أجل ان يكون للنساء مثل حقوق الرجال ، ومن أجل تعليمهن وتثقيفهن ، وفى سبيل حقوقهن في العمل · وهى تناضل بكل ما أوتيت من قوة فى سبيل ان يعترف بالمرأة «كقوة حية فى بناء الحضارة» · صبرا · ان هناك حركة فى الجزائر · هناك حركة حتى ولو كانت فوضوية عسيرة · وأنت متأكدة من ذلك · هناك تلك الجزائرية الشابة التى تهمس فى أذنك بأن الفتيات لم يعدن يرغبن فى الزواج الآن · انهن يعلمن مدى ما عانته أمهاتهن · وهناك هؤلاء الطالبات الحييات والمصممات مع ذلك ، اللائى يتقدمن الى المنصة للتعبير عما يساورهن من نوازع القلق والامل · واكيد انه ليس ثمة ما يشبه حركة نسوية بالمعنى الذى نفهمه فى الغرب ، لكن لماذا يراد لهن ان يسلكن طريقا مماثلة لمسالكنا ؟ قد ترغبين ، بعكس ذلك ، ان تتعلمى منهن ، وتستمعى اليهن ، وان تلتقى بهن لمدة أطول · المهم ان يستمر هذا الغليان الذى شعرت به ··· ان هناك حركة بالجزائر ·

اذا ما شعرت يوما باختناق ومغص فى المناقشات والخطب البارعة ، فلوذى قليلا بالصحراء ، هنا فى قرية من القرى ، وعلى مقربة من نقطة ماء ، تلتقين بالنساء · فهن يبتسمن لك ، ويصافحنك ، ويدعونك بالاشارة للدخول الى البيت · ويبحثن فى أعماق كيس يقوم مقام الخزانة فيخرجن منه قارورة عطر ويصببن منه على جلدك ··· تتبادل معهن الابتسامة · أيتها النساء فى جميع البلدان ، اتحدن ! · (1)

(1) على غرار نداء كارل ماركس : «أيها البروليتاريون فى جميع البلدان ، اتحدوا !»

حول ملاحظات، وانطباعات

الشيخ سليمان داود بن يوسف

عن ثورة 1871

د. يحيى بوعزيز
جامعة وهران



الشيخ سليمان داود بن يوسف، عالم جزائري، من قرية العطف الميزابية، على بعد حوالى تسعة كيلو مترا من مدينة غرداية بوادى ميزاب .

تعرفنا عليه خلال انعقاد الملتقى الثامن للفكر الاسلامى ببجاية فى ربيع عام 1974، وكان من ضمن من علقنا عليه حول قضية التقاء ابن تومرت بالفيلسوف الاسلامى الكبير أبى حامد الغزالى .

وفى نهاية الملتقى صحبناه معنا فى سيارتنا الخاصة من بجاية الى الجزائر العاصمة، وتناقشنا فى الطريق، وتبادلنا الحديث حول عدة مواضيع فكرية، وتاريخية، قديمة وحديثة، خاصة حول ثورة التحرير الاخيرة .

وفى الملتقى التاسع للفكر الاسلامى بتلمسان، خلال صيف عام 1975، التقينا به مرة أخرى، وكان من ضمن المحاضرين فى الملتقى، فلم يوفق فى محاضرته، وكان هو والمنهجية على طرفى نقيض . فالموضوع : تلمسان خلال عهد الدولة الزيانية، وهو أخذ يستعرض تاريخ تلمسان من عهد الرومان الى ما بعد حركة الامير عبد القادر .

وكان فى نيتنا التعليق عليه خلال الملتقى ، ولكن حالت زيارة الرئيس بومدين ورفاقه الى الملتقى ، دون ذلك لان الوقت كان تأخر كثيرا ، والحرارة شديدة ، فلم يسع الوقت الا لعدد قليل من الناس ان يعقبوا .

وخلال الملتقى جمعتنا واياه عدة مناسبات منها لجنة اعداد التوصيات . وكنا نكبره ونجله على حيويته ، ونشاطه ، فى مثل ذلك السن المتقدم . ولم تكن نؤاخذه على مبالغته فى التحمس للمذهب الاباضى الذى ينتمى اليه ، وللحضارة الرستمية ، وأمجادها الغابرة ، لان الانسان مهما بلغ فى التكوين الثقافى ، يجد صعوبة فى التخلص من العواطف الخاصة نحو مسقط الرأس ، والانتماء المذهبى ، والتاريخى ، ثم انه لا ضير فى ذلك ما دام فى حدود اللياقة ، والمعقول .

ومع ذلك لم نتحرج فى انتقاده بأسلوب علمى ، مهذب فى موضوع كتبناه عن ملتقى تلمسان . بعنوان : « حول الملتقى التاسع للفكر الاسلامى بتلمسان ، ملاحضات واقتراحات » (1) ، قيمنا فيه اعمال الملتقى ، وانتقدنا عدم المنهجية العلمية التى اتصف بها بعض المحاضرين والمعقبين ، ومن سوء حظ الشيخ سليمان اننا ذكرناه ضمن هؤلاء الذين لم يلتزموا بالمنهجية وذكرنا معه المرحومين : عبد الحميد بن آشنهو ، وعثمان الكعاك . ولم نقل أكثر من هذا . والتمسنا لهم عذرا فى أنهم لم يتلقوا دراستهم فى جامعات علمية حديثة . كما أوضحنا انه ليس من الضرورى ان يكون كل عالم محاضرا .

ويبدو ان هذه الملاحظة افقدت الشيخ سليمان داود صوابه ، واغتنم فرصة مشاركتنا فى الملتقى العاشر للفكر الاسلامى بعنابة خلال صيف عام 1976 ، بمحاضرة حول : ازدهار الحضارة والفكر الاسلاميين بالمغرب الاسلامى ، ودوره فى نهضة أوروبا ويقظتها » . فهاجمنا ، وانتقدنا ، بعيدا عن الروح العلمية » وحقائق التاريخ ، وحاول أن يتهمنا بالتعصب ، والتحيز ضد الميزابيين ، دون أى مبرر ، لانه

(1) الاصالة . عدد 19 ـ 30 (الجزائر ، جانفى ـ فيفرى 1976) ص : 176 ـ 185 -

لا صلة اطلاقا بين موضوع محاضرتنا ، والحضارة الميزابية . مما جعلنا نتأكد ان انتقاده كان لغرض الانتقام مع فقدان طبيعة الاعتداء أو النيل من جانبنا .

ومما حاول أن يؤاخذنا عليه فى انتقاداته ، ان مقدمة موضوعنا لا صلة لها بالمحاضرة ، وأن عددا من الشخصيات الفكرية لم نذكرهم لانهم من أبناء عمومته ، أى انهم ميزابيون . هكذا بهذا المنطق . ويعلم الله أن تلك الشخصيات لم نكن نعرفها ، وشكرناه على افادتنا بها ، وقلنا له ان ما أوردناه من الاسماء كان لمجرد التمثيل ، وليس لغاية الحصر .

ومع اننا رددنا عليه فى الملتقى ، خلال ردنا العام على كل المناقشين والمعقبين من السادة الاساتذة ، الا أن جو الملتقى منعنا من ان نتوسع فى الرد ، واكتفينا « بدغدغته » فقط ، وسط التصفيقات الحادة لجمهور الملتقى البهيج التى كنا نتوقع أن تكون أبلغ رد له .

وبعد انتهاء الملتقى حفزتنا بعض التعقيبات التى أثيرت خلاله ، على كتابة موضوع عنها ، تحت عنوان : « من وحى الملتقى العاشر تجربة الجزائر الرائدة » (2) . فكان ذلك مناسبة لنا لتخصيص فقرة ، لتوضيح موقف الشيخ سليمان ، على حقيقته ، والكشف عن أنه لم يتناول التعقيب على محاضرتنا ، لغاية خدمة الفكر والثقافة ، وانما من أجل الرد فقط على ملاحظتنا عنه ، ولكن بأسلوب الحقد ، والضغينة ، البعيدين تماما عن اللياقة العلمية . وكان اكثر ما أثار استغرابنا ، اقحامه النعرة العصبية فى هذا الميدان الفكرى .

وكما غضب على تعليقنا عنه بعد ملتقى تلمسان ، غضب كذلك على تعقيبنا عنه بعد ملتقى عنابة ، ويظهر انه تأثر أكثر هذه المرة ، فقام ينشر ملاحظاته وانطباعاته عن ثورة 1871 ، (3) التى نشرنا عنها نحن بعض المقالات ، والدراسات ، ليجد الفرصة مرة أخرى لمهاجمتنا ، وانتقادنا ، كعادته ، مما يدل على انه تأثر كثيرا ، ونحن نقول

(2) الاصالة . عدد 38 (الجزائر ، أكتوبر ـ 1976) ص : 117 ـ 137 .
(3) الاصالة . عدد 39 ـ 40 (الجزائر ، نوفمبر ـ ديسمبر 1976) ص : 137 ـ 143 .

له بأننا رغم كل هذا ، نكن لك الاحترام والتقدير ، وستبقى دائما صديقنا ، وشيخنا ، ووالدنا الروحى ، ولن نسمح أبدا لهذه الملاحظات والانطباعات ، أن تفصل ما بنينا من ود ، واخاء ، وأواصر . كما اننا سوف لن نفعل مثلك فى ردنا عليك . وسنلتزم بالبحث والنقاش العلميين النزيهين .

وجمهور قرائنا الكرام ، وما أكثرهم والحمد لله ، هم الذين حفزونا الى كتابة هذا التعليق ، لدفع اللبس الذى حاول الشيخ سليمان ان يلبسه لبعض حقائق تاريخنا ، ويشوه به ما نسعى نحن وغيرنا منذ الاستقلال الى اجلائه ، وبعثه على حقيقته .

وحتى لا نطيل على القارىء الكريم نشرع توا فى ابداء الملاحظات التى استوجبها الرد على انطباعات الشيخ سليمان .

أولا : انتقد علينا الشيخ سليمان بأننا اعتمدنا فقط على المصادر الفرنسية فى كتابتنا عن ثورة 1871 ، وهو يشير بذلك الى مقال نشرناه بمجلة الاصالة عن هذه الثورة بمناسبة الذكرى المأوية لها (4) . ونحن نقول له بأن هذه الثورة لم يكتب عنها بعد بالعربية ، فكل مصادرها تقريبا أجنبية وأغلبها فرنسى .

ومن أجل ذلك اخترنا موضوع أطروحتنا الجامعية عنها ، واعتكفنا على دراستها أكثر من سبع سنوات ، وتكبدنا جهودا شاقة يعلم الله فقط ، ونحن ، مداها . وستكون عند صدورها قريبا ان شاء الله ، أول محاولة من نوعها باللغة الوطنية ، لغة الضاد ، والقرءان . وقد ناقشنا فيها الاقوال والادعاءات الفرنسية ، بالحجة ، والبرهان من منطق الوثائق العربية ووقائعها . وحاولنا أن نصحح قدر الامكان ، وفى حدود ما حصلنا عليه من وثائق . الاغلاط والاخطاء التى تعمد الغير الصاقها بهذه الثورة ورجالها .

ومن الطريف أن نذكر للشيخ سليمان أن أحد أعضاء لجنة المناقشة للاطروحة ، أخذنا على أننا اعتمدنا كثيرا على المصادر العربية ، علما بأنها لا تزيد على حوالى ثلاثين، الى جانب حوالى مائة وثيقة . فى حين قاربت المصادر الفرنسية المائتين .

(4) الاصالة ، عدد 2 (الجزائر ، ماى 1971) ص : 22 ــ 29 .

ثم ان معظم الدراسات التاريخية التى نشرناها فى مجلتى الاصالة ، والثقافة ، وثائقية اعتمدنا فيها على الوثائق العربية التى تنشر لاول مرة · فهل غاب عليكم ذلك ياشيخ سليمان أم أنكم تريدون أن تغطوا الشمس بالغربال ـ كما يقال ـ ·

ثانيا : أثار الشيخ سليمان قضية مشاركة المدعو بولنعاس الميزابى فى ثورة 1871 ، ليتخذ ذلك ذريعة لتأكيد مشاركة الميزابيين جميعا فى هذه الثورة ، وكأنه بهذا يحاول ان يجعلهم فى قفص الاتهام · ونحن لم نشر الى هذا اطلاقا ، ولم نتعرض اليه · ومع ذلك نقول له بأن سكان وادى ميزاب لم يشاركوا فى ثورة 1871 ، والسبب بعدهم عن ميدانها فى الشمال وهم فى اعماق الجنوب الصحراوى ، وليسوا وحدهم الذين لم يشاركوا ، فهناك غيرهم ·

أما بولنعاس ، الذى على ما يبدو ، من سكان سطيف ، حسبما يفهم من كلام الشيخ سليمان ، فاذا صح أنه شارك ، فليس ذلك غريبا لانه جزائرى على كل حال ، ولم لا يشارك ؟ ومع ذلك فأين يظهر أمام عشرات الآلاف من الابطال الجزائريين الذين ضحوا بالنفس والنفيس ، وقدموا الغالى والرخيص فى سبيل وطنهم خلال ثورة 1871 · فبولنعاس قطرة فى محيط ، وشعرة فى جبل من الصوف · ولماذا يحاول الشيخ سليمان أن يفصل الميزابيين عن المجتمع الجزائرى ، وهم جزء لا يتجزأ منه رغم أنفه · ويحاول اثارة الشكوك ·

ثالثا : ادعى الشيخ سليمان ان الوانوغى بن بومزراق من مواليد المنفى بكاليدونيا الجديدة ، وأن أباه سماه بهذا الاسم نسبة الى قبيلة ونوغة · ونحن نقول له بأن هذا ليس صحيحا · لان احمد بومزراق لم يتزوج فى المنفى ، ولم يرزق بأى مولود هناك وأن ابنه الوحيد الوانوغى ولد بالجزائر قبل الثورة ، والدليل محضر الاتهام الذى أعد لمحاكمته عام 1873 بقسنطينة ، والذى نص بالحرف الواحد على أن : « أحمد بومزراق بن الحاج احمد الآغا السابق للونوغة عمره خمسة وثلاثون عاما ، متزوج ، وله ولد ··· » · (5)

(5) ACTE D'ACCUSATION. P. 75.

وقد سماه أبوه بالونوغي لا نسبة لقبيلة ، ولكن لاقليم الونوغة الذى كان قائدا عليه من قبل أخيه الباشاغا أحمد المقرانى من عام 1861 الى عام 1871 ، والذى ينحصر بين البويرة شمالا ، وسور الغزلان جنوبا ، وبنى منصور شرقا ، ويشمل جزءا كبيرا من جبال البيبان ، ويسكنه عشرات من العروش والقبائل •

وهذا الابن الوحيد لاحمد بومزراق هاجر مع باقى المقرانيين الى تونس فى مطلع عام 1872 بقيادة ابن ناصر بن شهرة بعد أن فروا الى الصحراء • وكانوا حوالى خمسمائة شخص بينهم عدد آخر من المهاجرين غير المقرانيين •

وعندما صدر العفو على المنفيين بنوميديا عاصمة كاليدونيا فى المحيط الهادى عام 1881 ، ورفض احمد بومزراق العودة الى الوطن ، عاد ابنه الوانوغى من تونس الى الجزائر مع بعض المقرانيين ، وتولى رعايته بعض الوقت ، شيخ زاوية الهامل محمد ابن بلقاسم قرب بوسعادة • وقد زرنا بنفسنا هذه الزاوية عام 1972 ، وتحادثنا مع أحد القائمين بها الذى حدثنا على الرعاية التى كان أرباب الزاوية يولونها للمقرانيين بعد نكبتهم على أثر الثورة ، وذكر لنا أن بعضهم ما يزالون حتى اليوم فى مدينة بوسعادة يعيشون كتجار وعمال •

وبعد مدة من عودة الوانوغى من تونس عينته السلطات الفرنسية معلما فى مدينة القليعة ، ثم نقلته الى مدينة الاصنام لنفس الوظيف ، وبها ترقى الى منصب المفتى فى نفس المدينة •

وفى مطلع القرن العشرين ، بذل الوانوغى جهودا ومساعى لاعادة أبيه من منفاه ، ونجح فى ذلك ، فعاد أبوه من المحيط الهادى فى صيف عام 1904 ، واستقبله عنده فى الاصنام بعض الوقت ، ولكنه وجد كل شىء قد تغير عليه ، ولم يطق العيش فى الاصنام فانتقل الى مدينة الجزائر العاصمة ، وجاور بعض رفاقه واصدقائه القدماء من التجار بحى القصبة ، ولم يطل عمره كثيرا ، فقد توفى فى صيف العام الموالى 1905 ، ودفن فى مقبرة سيدى محمد بحى العقيبة •

وفي خلال الحرب العالمية الاولى ارسل الوانوغي بن بومزراق ، وقطرانجي عبد الرحمن بن عمر ، الى فرنسا في مهمة ارشاد الجنود الجزائريين في جبهة الحرب والصلاة بهم ، وبعد عودتهما ألفا كتيبا صغيرا سمياه : « القول الناصح في مجادلة المائن الكاشح » (6) لا يهمنا هنا موضوعه ·

وقد بقي الوانوغي في منصب الافتاء بالاصنام حتى توفي في مطلع الخمسينات · وكانت له زوجتان : احداهن مقرانية ، والثانية من سوقر قرب تيارت بنت الشيخ المفتي بها ·

ومن ابناء الزوجة المقرانية ثلاثة ابناء واحد منهم اسمه بومزراق ، وكان يعمل في فرقة رياضية بفرنسا حتى قامت ثورة التحرير الاخيرة ففر الى تونس ، وانضم الى الفريق الرياضي التابع لجبهة التحرير الوطني · وعاد الى الجزائر بعد الاستقلال ، وعمل مدربا رياضيا ، وتعرفنا عليه في عاصمة الجزائر عام 1963 ، وسمعنا منه أحاديث كثيرة عن ابيه الوانوغي ، وجده احمد بومزراق ، وتوفي حوالى 1965 ، ولحق به أخ آخر · وما يزال الاخ الثالث حتى اليوم يعيش بالاصنام على ما نعلم ·

ومن أبناء الزوجة السوقرية ، زوجة الفنان خليفي بالجزائر العاصمة ، وزوجة التاجر المقراني عبد الحق الذي ما يزال يعيش بالاصنام · (7)

فالوانوغي بن احمد بومزراق ، اذن ، من مواليد الجزائر ، وليس المنفى ، واستمد اسمه من اقليم الونوغة الذي كان أبوه قائدا له حوالى عشر سنوات ، وليس من اسم قبيلة بهذا الاسم · ولو كان من مواليد المنفى ، لما سمح له عمره الصغير بتقلد تلك المناصب ، ولما سمح وطن كاليدونيا بالتثقف بالعربية لتلك الدرجة التي أهلته لتولي منصب الافتاء سنوات طويلة بالاصنام · فليتمعن الشيخ سليمان في هذا ، وليصحح معلوماته ·

---

(6) توجد نسخة من هذا الكتيب في مكتبة جامعة الجزائر تحت رقم 300 ـ 208 ·

(7) افادنا بهذه المعلومات عن الوانوغي ، الشيخ المهدي البوعبدلي بطيوة في أرزيو ، قرب وهران ، وذلك في رسالة بتاريخ 21 محرم 1393 (24 فيفري 1973) ، والشيخ المهدي وأبوه من أصدقاء الوانوغي ·

رابعـا : أورد الشيخ سليمان داود ، صورة مع ملاحظاته وانطباعاته التى نشرها فى مجلة الاصالة المشار اليها سابقا • وتحوى هذه الصورة عددا من الاشخاص ، وأدعى ان الشخص الرابع بها الى اليمين هو الوانوغى بن بومزراق • وليس ذلك صحيحـا لان ذلك الشخص هو السيد عثمان عبد المجيد بن ابراهيم الطولقى من زاوية طولقة ، الذى كان يكتب فى جريدة النجاح القسنطينية التى كان يديرها قريبه السيد عثمانى عبد الحفيظ بن الهاشمى ، الذى كان مفتيا فى عنابة قبل أن ينقل الى قسنطينة لادارة تلك الجريدة ، ولم يتوف الا منذ حوالى ثلاث سنوات فقط •

ومن ابناء السيد عثمانى عبد المجيد الطولقى (الذى اعتبره الشيخ سليمان ، هـو الوانوغى) السيد عثمانى سيف الدولة الذى كان معلما فى قصر الطير ، وأثرى فى عقد الاربعينات ، وأصبح تاجرا كبيرا فى الجزائر ووهران ، وانتقل الى المغرب الاقصى، وامتلك مخبزة كبيرة فى الدار البيضاء ، وتعرف عليه كل اللاجئين الجزائـريين خلال ثورة التحرير الكبرى الاخيرة وارتبط معه بالمصاهرة المرحوم الطاهر التيجانى الذى شغل منصب الامين العام لوزارة الاوقاف ، ثم لوزارة التربية الوطنية بعد الاستقلال بعض الوقت •

ومن ضمن الاسماء الذين تحويهم تلك الصورة ولربما لا يعرفهم الشيخ سليمان ، عبد القادر القاسمى ، من زاوية الهامل الذى كان عضوا فى المجلس الجزائرى ، وتوفى حوالى 1953 • ومامى اسماعيل محرر جريدة النجاح الذى توفى فى مطلع الستينات • وشيخ العرب عبد العزيز بن قانة • والشيخ ابن الساسى قاضى قسنطينة • (8)

ان الشيخ الوانوغى بن احمد بومزراق يعـرفه كثيرون مايزالون احيـاء ، ولا يوجد فى تلك الصورة التى نشرها الشيخ سليمان فليسأل العارفين بذلك ، وليتجنب هـذا الخـلط •

خامسا : ادعى الشيخ سليمان بأن الشيخ امحمد بن الشيخ الحداد قد هرب من منفاه بالكاليدونيا ، ومات بمكة • وذلك غير صحيح ، لان الذى فر من هناك هو أخوه

(8) أفادنا بهذه المعلومات الشيخ المهدى البوعبدلى فى رسالـة بتاريخ 9 ربيـع الاول 1397 ، الموافق 28 فيفرى 1977 •

الشيخ عزيز بن الحداد ، فى صيف عام 1880 على مركب بريطانى حمله الى سيدنى بأستراليا ، ثم الى جدة ، ولم يمت بمكة وانما فى مرسيليا بفرنسا ، ونقلت جثته الى مدينة قسنطينة حيث دفن بجوار قبر أبيه الشيخ امزيان بن على الحداد ٠

أما الشيخ امحمد فقد بقى بمنفاه ، ووجدنا اسمه ضمن قائمة أسماء عدد من المنفيين الذين كتبوا رسالة الى الحاكم العام الفرنسى بالجزائر عام 1888 ، يطلبون منه اطلاق سراحهم ٠ وذلك فى أرشيف باريس الوطنى ، ولم تشر المصادر الفرنسية ولا غيرها الى مصيره ، والاغلب أن يكون قد توفى هناك ، ولم يكن من صنف المغامرين كأخيه سى عزيز حتى يفر أو يحاول ذلك ، ولو فر لاشارت الى ذلك المصادر ، كما اشارت الى فرار أخيه ٠

سادسا : أثار الشيخ سليمان قضية آثار الشيخ الحداد ، وقضية كونه مثقفا او أميا ، ونحن لم نشر الى هذا لا من قريب ولا من بعيد ٠ وما دام قد فعل ذلك فلابد من أن نعطى ايضاحا ٠

فحول ثقافة الشيخ الحداد ، أو أميته ، هناك رأيان شائعان فى منطقته بحوض وادى الصومام ، وجبال جرجرة ٠ رأى يؤكد أنه مثقف بدليل أنه خلف بعض التآليف العلمية خاصة فى مجال التصوف ، وأن أولاده كانوا مثقفين خاصة الشيخ عزيز ، وأن زاويته كانت تقوم برسالة العلم بشكل واسع لعدة عقود من الزمن حتى قضى عليها خلال ثورته ٠ وان كثيرا من اتباعه واخوانه كانوا ذوى ثقافة ٠

ورأى آخر يدعى انه أمى لا يقرأ ولا يكتب ، وهو رأى شائع بين قلة من الناس ، من الطبقة المثقفة غالبا ، وما يزال متواترا فيما بينها فقط ، ولم يمتد الى الطبقة العامة ٠ وقد حكى لنا الاخ الفاضل السيد آيت سعيد عمر اصدقاون من عين الحمام ، الذى

يعمل معلما فى مدينة بجاية ، ناقلا عن أبيه المسن السيد على بن محمد السعيد اصدقاون ، بأن الشيخ الحداد أمى لا يقرأ ولا يكتب • (9)

وقد سمعنا ما يشبه هذا من الشيخ على شنتير نائب رئيس المجلس الاسلامى الاعلى خلال محادثات بيننا وبينه ببجاية خلال انعقاد الملتقى الثامن للفكر الاسلامى ببجاية فى ربيع عام 1974 ، حيث ذكر بأن الشيخ الحداد لم يكن مثقفا ، ولكنه لم يقل بأنه كان أميا تماما ، وعائلة الشيخ شنتير كانت من اتباع الشيخ الحداد •

ورأينا نحن ، الذى سيبقى قابلا للنقاش ، هو ان الشيخ الحداد ، لم يكن أميا تماما ، ولم يكن ذا مستوى عال فى الثقافة ، بل كان ذا ثقافة متوسطة يعرف القراءة والكتابة ، ويفهم بعض كتب الدين التى تدخل فى حضيرة اختصاصه كرجل دين • وعلى فرض صحة أنه أمى فلا ينقص ذلك من قيمته ، ويكفيه شرفا أنه ثار وحمل السلاح ضد الاستعمار الفرنسى وهو فى سن الثمانين عاما ، ورمى بكل أصحابه واتباعه فيها ، وما أكثرهم • ويبدو لنا أن الذين يشيعون أميته كانوا من خصومه ، اما دينيا ، أو سياسيا •

وحول آثار الشيخ الحداد ، او مكتبته ، ان صح ان له آثارا ، او مكتبة ، فان المصادر التى أطلعنا عليها ، وما أكثرها ، خلال انشغالنا ، باعداد دراستنا عن هذه الثورة ، لم تشر الى ذلك اطلاقا لا من قريب ، ولا من بعيد • أما الشيخ سليمان فقد ادعى انه عثر على ذلك ، ولكنه كان مضطربا فى رواياته ، ففى الملتقى التاسع للفكر الاسلامى بتلمسان عام 1974 ، ذكر أنه عثر على مكتبة الشيخ الحداد فى المكتبة الوطنية بباريس ، وانها تحوى حوالى الف مجلد ، وفى انطباعاته وملاحظاته التى

(9) حكى لنا الاخ هذه الرواية خلال التقائنا بالمعهد التيكنولوجى للتربية فى حى بوزريعة بالجزائر العاصمة ، خلال ملتقى عقد هناك فى عام 1973 تقريبا ، لمعالجة مشاكل التكوين • ثم كاتبنا برسالة أخرى جوابا عن رسالة لنا ، فى نفس الغرض • وأكد لنا بأن أباه رغم انه يبلغ من العمر مائة وأربعة عشر عاما ، الا أنه يتمتع بكامل الصحة العقلية والجسدية • ووعدنا أيضا بأنه سيتصل بابن الشيخ الرشيد الواسيفى الذى كان جده محمد اصدقاون كاتب الشيخ ، وأحد مقاديمه البارزين فى جبال جرجرة ليستطلع منه الامر ، ولكنه لم يفعل بعد • تاريخ رسالته 9 سبتمبر 1973 ، مصدرها بجاية •

نشرها أخيرا فى مجلة الاصالة ذكر أنه عثر عليها فى مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بشارع ليل رقم 2 بباريس ٠ وانها تحوى ألفا واثنين وسبعين مجلدا ، كلها مخطوطات، فأى الروايتين نصدق ؟

ثم اننا نسأله كيف تمكن ان يصعد الى الطابق الرابع بمكتبة مدرسة اللغـــات الشرقية بباريس ، وقاعة المطالعة بها للرواد والقراء توجد فى الطابق الاول ، وقـد اشتغلنا بها نحن لمدة شهر كامل خلال صيف عام 1970 ، وأطلعنا على كل ما يتصـل بثورة 1871 ولم نعثر على ما ذكره ، فما هى هذه العصا السحرية التى فتحت أبواب الطابق الرابع ، ومن هم الجنون ، الذين فتحوا له خزائن كنوز الشيخ الحداد بشارع ليل فى باريس ؟

واكثر من هذا فان الشيخ الحداد رجل دين ، وليس رجل سياسة وكتبه اذا صح أن له كتبا ، ستكون ولا شك ، كتب دين ، ولغة ، من فقه ، ونحو ، وصرف ، ومنطق وتفسير ، وأصول ، وما الى ذلك من المواد التى تساعد على فهم القرآن والسنة ٠ وهى كتب لا يهتم الفرنسيون بحفظها هكذا ، واخفائها طيلة قرن كامل ، ليقدموها بعـد ذلك هدية للشيخ سليمان داود بن يوسف عام 1964 ، ولنسلم جدلا أن الشيخ الحداد كانت له كتب ، أو مكتبة ، فهل يعقل أن تصل الى ذلك العدد الضخم الذى ذكره ، وهو ألف واثنان وسبعون مجلدا ، اللهم فاشهد ان هذا مبالغة مكشوفة تجاوزت الحد المعقول ٠ ان الشيخ سليمان نفسه ، وهو العالم ، البحاثة ، المتنور ، الذى يعيش فى عصر وفرة الكتاب وازدهاره ، قد لا يملك هذا العدد ولا نصفه ، فى مكتبته المتواضعة ، فى قرية العطف الميزابية ٠

أما الوثائق التى هربتها الفرنسيون فى مطلع عام 1962 ، من الجزائر ، فهى وثائق الاستعمار الفرنسى بالجزائر بصورة عامة ، وليست هى كتب الشيخ الحداد ، الفقهية ، والصرفية ، والنحوية ، والبلاغية ، وما شابهها ٠ ولا ينبغى الخلط هكذا فى حقائـق التاريخ ، والتراث ٠

سابعا : لقد نسب الينا الشيخ سليمان داود باننا ذكرنا أن من أسباب انتقال بنى حماد من القلعة الى بجاية ، هم زناتة ، ومن اسباب انقراض دولة بنى حماد ، هم

الهلاليون • ثم ذكر أن هذا مخالف تماما للواقع وللتاريخ • واعتمد فى هذا على فقرة قرأها كما ذكر فى الصحف ، دون أن يشير الى اسمائها •

والموضوع الذى يشير اليه عبارة عن محاضرة القيناها فى بجاية يوم 19 ماى 1975 بمناسبة الاسبوع الثقافى الثانى بها ، وقد نشرناها بكاملها فى مجلة الثقافة (10) • ولم نذكر فيها أبدا أن من أسباب انتقال بنى حماد من القلعة الى بجاية ، هم الزناتيون، لاننا لم نبحث هذه الاسباب ، وركزنا فقط على الجوانب الحضارية •

أما اسباب الضعف والانهيار ، فقد استعرضناها فى آخر المحاضرة والمقـــال ، وذكرنا أن ثورات واضطرابات الهلاليين وغاراتهم المتكررة كانت من العوامل الـتى اضعفت الامارة ، الى جانب غارات النورمان ، والصراع بين القبائل المختلفة كزناتة وكتامة ، وهذا صحيح • أما الذين اسقطوا فعلا الامارة فهم الموحدون بزعامة عبد المؤمن الموحدى • فليراجع الشيخ المقال ، وليتعلم ألا ينتقد الا عندما يتأكد من صحة ما يقول، وينشر • ولا يطلق الكلام والنقد هكذا جزافا ، ودون حدود أو مقاييس •

ثامنا : تطوع الشيخ سليمان فاستعرض فى « ملاحظاته وانطباعاته » ما ارتآه أسبابا لثورة 1871 ، ونحن نقول له بأننا بحثنا ودرسنا هذه الاسباب من واقع الوثائق، وليس من عالم الخيال ، وقريبا ان شاء الله سترى النور دراستنا عن هذه الثـــورة ، وسيكون له المجال واسعـا ، وحرا ، ليعلق ، وينتقـد ، بل اننا نقول له هات ما عندك ، واستعمل ما شئت من الاساليب ، فلا يضيرنا ذلك ، وستبقى دائما من أصدقائنا ، وأعزائنا • واننا نطلب منك بصفة رسمية أن تزودنا بما لديك من الوثائق عن ثورة أولاد سيدى الشيخ ، وسى الاعلى ، والشيخ بوعمامة ، وغيرهم من ثوار القرن الماضى لنستفيد منها فى دراساتنا وبحوثنا التاريخية • وسنكون لك من الشاكرين مقدما • وكن عند حدود وعودك • فقد وعدت بانك لا تبخل علينا بها فها نحن نطلب منك ذلك بصفة رسمية •

---

(10) الثقافة ، عدد 36 (الجزائر ، ديسمبر ـ جانـــفى 1977) ص : 11 ـ 22 ، والموضوع بعنوان : « ملامح عن قلعة بنى حماد والدولة الحمادية وبجاية » •

الشيخ سليمان وحكاية الشيخ « أمعو » :

ان السبب الاول والاخير الذى حمل الشيخ سليمان على انتقادنا هو غضبه من نعتنا اياه بعدم المنهجية بعد ملتقى تلمسان ، ويحلو لنا فى هذا المقام أن نورد الفذلكة المضحكة التالية ، وهى قصة واقعية حصلت فى مسقط رأسنا ، وعشنا واقعها عندما حصلت فى عقد الاربعينات . فهناك شيخان مسنان فى قريتنا أحدهما أعمى يدعى عمى الاخضر ، والثانى تاجر يدعى بلقاسم وله دكان يبيع فيه بعض البضائع التجارية خاصة الغذائية ، ولم يكن ذا شخصية قوية فتسلط عليه أطفال القرية وخلعوا عليه لقب : « الشيخ أمعو » لاسباب لا نتذكرها الآن ، وأصبحوا كلما رأوه ، أو مروا على دكانه ، نادوه بهذا الاسم : « الشيخ أمعو » ، ويعنون به صوت القط . فيغضب ويجرى وراءهم بالحجارة ، والعصى .

وذات يوم ذهب الى عمى الاخضر الشيخ ، المسن ، الاعمى ، وكان جالسا فى مكان الجماعة ، وهى الفسحة أو الساحة الكبيرة التى تتوسط القرية ، ويلتقى فيها السكان فى أوقات فراغهم ، للراحة وتداول الكلام ، وقتل الوقت كما يقال ، واشتكى اليه من تصرف الاطفال ، فنظر اليه بسخرية ، وهو لا يبصر كما قلنا ، وضحك ثم قال له : ما دمت تغضب من كلمة « أمعو » فأنا أقول لك : أمعو ، أمعو ، أمعو، وأخذ يرددها فى وجهه حتى كاد ان ينقطع منه النفس .

ونحن نقول للشيخ سليمان ما دام يغضبك قولنا بانك لست منهجيا ، فاننا نقول لك ونعيد : لست منهجيا ، لست منهجيا ، لست منهجيا . ونكرر ما قلته انت فى محاضرتك بأن من غربل الناس نخلوه . وان عدتم عدنا ، والسلام .

طفل عمره سبع سنوات
يحفظ مائة حديث



أجريت مسابقة مائة حديث نبوى فى يوم 9 ربيع الاول 1397 هـ الموافق لـ 27 ـ 2 ـ 1977 م بمناسبة احياء ذكرى المولد النبوى الشريف التى شارك فيها ما يربو على 300 تلميذ •

كان من ضمن المشاركين الطفل الوجدى عصمت سليم الذى يبلغ من العمر سبع سنوات ، فهو من مواليد 22 ـ 8 ـ 1969 م ، غير أن حداثة سن هذا الطفل لم تمنعه من احتلال الرتبة الاولى بكل جدارة واستحقاق •

لقد تمكن من الالمام بمائة حديث نبوى شريف مع ذكر السند ، ولو كلفناه بحفظ مائتين لحفظها •

واقل ما يقال فى شأنه انه يتمتع بحافظة خارقة للعادة اذهلت المصححين والمشرفين على اجراء المسابقة ، وأبهرت كل من حضر حفل توزيع الجوائز الذى اقيم فى الجامع الكبير بتلمسان •

وبعد ما أفسح المجال للطفل فى بداية الحفل ليقول كلمة : أبى الا ان يلقى على مسامع الحاضرين مجموعة من الاحاديث النبوية الشريفة ، وختمها بآيات من الذكر الحكيم (سورة البقرة) • وهنا لم يتمالك بعض الحاضرين انفسهم فأسرعوا اليه بالعناق

والتقبيل ، معبرين عن فرحتهم ودهشتهم فى آن واحد ٠

ومن بين الاحاديث النبوية التى ألقاها على مسامع الحاضرين الاحاديث التالية :

1) عن ابى هريرة (ض) قال : قال رسول الله (ص) تجد من شرارالناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ٠ — رواه البخارى —

2) عن ابى ايوب الانصارى أن رسول الله (ص) قال : لا يحل لرجل ان يهجر اخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام ٠

— رواه البخارى ومسلم —

3) عن ابى هريرة (ض) قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار ٠ فقلت يا رسول الله هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : انه كان حريصا على قتل صاحبه ٠ — رواه الشيخان وأبو داود والنسائى —

4) عن أبى هريرة (ض) قال : قال رسول اللـه (ص) : ليس الشديد بالصـرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ٠ — رواه البخارى ومسلم وابوداود —

5) عن ابى هريرة قال : قال رسول الله (ص) : والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شىء ان فعلتموه تحاببتـم : أفشوا السلام بينكم ٠ — رواه مسلم وابوداود والترمذى —

6) عن المقدام بن معديكرب قال : قال رسول الله (ص) ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسـه ٠ — أخرجه الترميذى وابن ماجه —

7) عن ابى هريرة (ض) قال : قال رسول الله (ص) : انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم — رواه مسلم —

8) عن شداد بن أوس (ض) قال : قال رسول الله (ص) : الكيس من دان نفسـه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى ٠

— رواه الترمذى واحمد والحاكم وابن ماجه —

9) عن ابن عمر (ض) عنهما قال : نهى النبى (ص) أن يبيع الرجل على بيع أخيه وأن يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب ٠

ـ رواه البخارى ـ

10) عن ابى هريرة (ض) قال : قال رسول الله (ص) : تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك ٠

ـ رواه الجماعة الا الترمذى ـ

11) عن ابن مسعود (ض) قال : قال رسول الله (ص) : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعلية بالصوم فانه له وجاء ٠ ـ رواه الجماعة ـ

12) عن ام حبيبة قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول : لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أربعة أشهر وعشرا ٠

ـ رواه البخارى ـ

13) عن ابن عمر (ض) عنهما ان النبى (ص) سمع عمر بن الخطاب وهو يحلف بأبيه فقال : ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت ٠

ـ رواه البخارى ـ

14) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهلا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ٠

ـ رواه البخارى ومسلم ـ

15) عن ابى هريرة (ض) قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ٠ ـ رواه البخارى ـ

16) عن ابى هريرة (ض) قال : قال رسول الله (ص) : قال الله تعالى : أعـــددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، واقـــرأوا انشئتم : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعـين » . ـ رواه البخارى ومسلم ـ

17) عن ابى موسى الاشعرى (ض) قال : قال رسول الله (ص) : لا يدخل الجنة مدمن خمر ، ولا مؤمن بسحر ، ولا قاطع رحـم . ـ رواه ابن حبان فى صحيحه ـ

18) عن ابى موسى (ض) أن رسول الله (ص) قال : انما الجليس الصالح والجليـس السوء كحامل المسك ونافخ الكـير ، فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحـا خبيثـا . ـ رواه البخارى ومسلم ـ

19) عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ض)عنهما أن النبى (ص) قال : أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حـتى يدعها : اذا أؤتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجـر .

ـ رواه البخارى ومسلم ـ

20) عن ابى هريرة (ض) عن رسول الله (ص) قال : الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبـائر . ـ رواه مسلم ـ

21) عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ض) ان رسول الله (ص) قال : الدنيا متاع وخير متاعها المـرأة الصـالحة . ـ رواه مسلم والنسائى ـ

22) روى الديلمى فى مسند الفردوس عن انس (ض) ان رسول الله (ص) قـال : أصلحوا دنياكم واعملوا لآخرتكم كأنكم تموتون غدا .

23) روى الطبرانى أن رسول الله (ص) قال : ان افضل الايمان ان تعلم ان اللـه معك حيثمـا كنت .

24) روى ابن حيان فى صحيحه عن ابى ذر الغفارى (ض) قال : اوصا نى خليـلى بخصال من الخير : ان لا أخاف فى الله لومة لائم ، وأوصانى أن أقول الحق وان كان مرا .

25 روى أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة (ض) ان رسول الله (ص) قال : مـن

طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسألة وسعيا على أهله وتعطفا على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ، ومن طلبها حراما مكاثرا بها مفاخرا لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان .

26) روى ابن ماجة عن سهل بن سعد (ض) ان رسول الله (ص) قال : ان هذا الخير خزائن ولتلك الخزائن مفاتيح ، فطوبى لعبد جعله الله عز وجل مفتاحا للخير مغلاقا للشر وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير .

27) روى الامام أحمد (ض) ان رسول الله (ص) قال : الجماعة رحمة والفرقة عذاب .

28) روى الطبرانى عن أبى الدرداء (ض) قال : أتى النبى رجل يشكو قسوة قلبه فقال له النبى (ص) اتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك ؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك .

والطفل الوجدى عصمت سليم من مواليد مدينة تلمسان بتاريخ 69/8/22 م . ينحدر من أب جزائرى متوسط الحال ، يمارس التعليم فى احدى متوسطات المدينة وهو يتابع حاليا دراسته فى احدى المدارس الابتدائية فى قسم السنة الثالثة من التعليم الابتدائى وهو يفرض تفوقة الهائل على افرانه محتلا على الدوام المرتبة الاولى .

وقد سلمنا الى أول المتسابقين فى حفظ الحديث النبوى الشريف الجائزة الاولى والمتمثلة فى ألف دينار وبذلة غير مخيطة .

وبفضل تنظيم هذه المسابقة استطعنا اكتشاف موهبة جديدة وصاحب حافظة خارقة ، أملنا أن يحظى بالعناية والرعاية والتربية المتماشية مع ذكائه المتوقد .

محمد خليف
مدير الشؤون الدينية بالنيابة
بولاية تلمسان